السنة الثانية   العدد ٩   ١ ايار سنة ١٨٩٩

المشرق

اتحاد طائفة الروم الكاثوليك الملكيين

بوحدة الايمان مع كنيسة رومة

نقلًا عن غبطة السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم

(لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي)

توطئة

وردت علينا في هذه الاسابيع الاخيرة اعداد ثلاث مجلّات او جرائد وطنيّة قُدّت من اديم واحد وفي احدها جيمًا تاريخُ البطريركيّة الانطاكيّة ترعم انّها برواية اخبارها تورثُ العقول منارًا وتؤلّف القلوب بالمحبة . ونظنّ انّ مثل هذه الروايات غير المضبوطة لا تورث الالباب سوى الضغائن والاحقاد . ومن جملة ما اتت بهِ في صفحاتها انّها صوّبت سهامها الطائشة « الى الرهبان غير الارثذكسيين من الفرنج » كأنّها تتحاشى بهذه التورية ذكر المرسلين اللاتين لاسيما الرهبان اليسوعيين وتصون عرضهم بالسكوت عن اسمهم . ولكن سواء عندنا ان يُجاهر هؤلاء باسمنا او يلمّحوا فقط تلميحًا . لانّ اعمال اليسوعيين ليست ممّا يُخجَل عنهُ فهي تتقلّدهم مجدًا وفخارًا . لا خزيًا وعارًا

ويُطلبُ الانسان من فعلهِ   فعلهُ عن اصلهِ يُخبِرُ

وعليهِ لو لم تمسّ هذه الاراجيف الفريّة شرف طائفة الروم الكاثوليك الملكيين اكثر منها قدر الرهبانيّة اليسوعيّة لضربنا عنها صفحًا . وليس جوابنا سوى نبذةٍ اقتطفناها من اقوال السعيد الذكر البطريرك العلّامة الجليل والصنديد البطل المقدام مكسيموس مظلوم فلخّصناها من كتاب لهُ كثير الفوائد نادر الوجود ألّفهُ سنة ١٨٣٧ ونُشر بالطبع سنة ١٨٦٣ ضمّنهُ في مجموع يُدعى « القائد الامين » . وفي قولهِ طاب ثراهُ احسن جواب لهذه الاكاذيب الملفّقة والاحاديث الملفّقة التي نوّهنا بذكرها

والغاية التي يتوخّاها غبطتهُ في هذه المقالة الرائعة « ان يبيّن دوام طائفة الروم الكاثوليك وحفظ الاتّحاد بوحدة الايمان والاشتراك مع الكنيسة الرومانية الجامعة امّ الكنائس كافة ومعلّمتهنّ » (ص ٤)

وتأليف غبطته يتضمَّن خمسة وعشرين بابًا لا نذكر منها الّا ما يوافق الغرض الحاضر ومن اراد زيادة فعليه بمطالعة الكتاب

قال غبطتهُ :

« ان كنيسة المسيح الواحدة قد اعتُبرت دائمًا . . . كشجرة ذات اصل واحد منقسم علوًا الى فرعين ممتدَّين شرقًا وغربًا » (ص ٥) « فكما انَّ الكنيسة الغربيَّة قد دُعيت لاتينية نسبة لركنها مقرًّا ولغةً ولئن كانت حاوية ضمنها طوائف عديدة في ممالك الغرب . هكذا الكنيسة الشرقية سُمّيت يونانيَّة نسبة لركنها مقرًّا بالتبعيض (١ ولغةً وطقسًا اصليًّا » (ص ٦)

«فهذه الكنيسة اليونانيَّة بجدّيها ومعلّميها وبطاركتها واساقفتها وكهنتها ورهبانها وشعوبها مع ملوكها الارثوذكسيين قد استمرَّت منذ انشائها الى غاية الجيل التاسع . حافظة رباط الاتحاد والاشتراك في وحدة الايمان الارثوذكسيّ المقدّس مع الكنيسة اللاتينيَّة ومع رأس البيعة الجامعة المنظور الاسقف الروماني الذي قد عرفتهُ البطاركة الشرقيُّون وسائر الرؤساء الكنائسيين الآخرين وارثًا سلطان القديس بطرس تامًّا وفائزًا باختصاصاته الممنوحة لهُ بحقٍ الهيّ وكنائسيّ ليس نظرًا لاوَّليَّته وتقدُّمه فقط على جميع البطاركة والرؤساء بل نظرًا لسلطان ولايته ايضًا في الكنيسة الجامعة وعليها كديوانها الاعلى مع المجمع المسكونيّ وخارجًا عنهُ . كما هي عمليَّتهم الدائمة في التسعة الاجيال المذكورة بالالتجاء اليه في حلّ مشاكل الايمان وبرفع الدعاوي الى ديوانهِ من احكام الدواوين الأُخر الكنائسيَّة على جهة الاستئناف وبقبول احكامهِ واوامرهِ بطاعةٍ تامَّة وباعطائهم لنوَّابهِ في المجامع المسكونيَّة الجلسة الاولى والترأُّس عليها عوضًا عنهُ وباستمدادهم منهُ تثبيت تحديداتها واحكامها وتكفي لإثبات ذلك تلاوة اعمال المجامع المسكونيَّة والرسائل السينودسيَّة والبابويَّة والملوكيَّة والبطريركيَّة وامثالها مع التواريخ الكنائسية الصادقة وهو الامر الشهير في العالم اجمع . وبالتالي انَّ هذه الكنيسة اليونانيَّة لبثت زمنًا ينيف عن تسعمائة سنة حافظةً صفة كونها كاثوليكيَّة بالتمام والكمال

« الّا ان هذه الوحدة والصفة قد اخذت بداية انثلامها فيها بعد جيل الكنيسة الجامعة التاسع بتهوُّر الاكثرين منها رويدًا رويدًا في وحدة الانشقاق التي لُجّتُها نادت

(١ قول غبطته « بالتبعيض » ينفي كون الكنيسة الشرقيَّة كانت كلها في بلاد اليونان . امَّا اللغة والطقس فقد اختلفا ايضًا في بدء النصرانيَّة بحسب الامكنة واللغة الشعوب (المشرق)

لَّةَ الضلال في المعتقدات ايضاً. وها بحزن قلب وكآبة فؤاد نورد خبر الانشقاق والضلال المذكورين...» (ص ٧-٨)

يليه تاريخ ارتقاء القديس اغناتيوس الى الكرسي القسطنطيني البطريركي ونفيهِ ظلماً بامر الملك ميخائيل الثالث المعروف بالسكير مع ذكر اخبار فوتيوس البطريرك الدخيل ودسائسه واحتيالهِ على البابا نيقولاوس الاول ورشوتهِ لقصّادهِ وشجبهِ من الكنيسة اوّلاً وثانياً وثالثاً وموتهِ منفياً سنة ٨٩١ (ص ٨ - ٢٦)

« غير انَّ الانشقاق لم ينتهِ بموت فوتيوس بل لبث كالجمر تحت الرماد وظهر سنة ٩٨١ في زمن نيقولاوس كريزوبارغوس البطريرك القسطنطيني. واشتدَّ في رئاسة خليفتهِ سيسينيوس سنة ٩٩٥ وزاد امتداداً في مدَّة بطريركيَّة سرجيوس الذي ارسل الى اساقفة المشرق منشور فوتيوس الذي كان اشهرهُ ضدَّ البابا واخيرًا اتَّسع بزيادة وافرة في الجيل الحادي عشر من زمن بطريركيَّة ميخائيل كارولاريوس الذي اضاف الى شرف مولدهِ ونسبهِ روح كبرياء وعناد من حينما كان هو علمانياً. فنفاهُ الملك ميخائيل بفلاغونيوس قصاصاً عن جناية تعصُّبهِ ضدَّ العزَّة الملوكيَّة وسجنهُ في دير رهبانيّ لم يمكنهُ الخروج منهُ الّا في ولاية الملك قسطنطين مونوماخس. وبنوع مضادّ القوانين المقدَّسة قد ارتسم هو بطريركاً على الكرسي القسطنطيني سنة ١٠٤٣ ولخوفهِ بالصواب من ان الحبر الرومانيّ يستخدم ضدَّهُ سلطانَهُ الاعلى ويشهر نفاقهُ واختلاسهُ هذه الوظيفة السامية ليس فقط بدون استحقاق بل ايضاً بمخالفة الرسوم البيعيَّة شرع هو يوطّد الانشقاق ويتمّ بانتشارهِ بإبعاد المؤمنين عن طاعة رأس الكنيسة الجامعة المنظور وبإلقاء النفور والبغضة في قلوبهم ضدَّ الكنيسة اللاتينيَّة » (ص ٢٦ - ٢٧)

ثمَّ يذكر نبذةً مما اخترعهُ كورولاريوس من الشكايات على الكنيسة الرومانية وحرمهُ بامر البابا القديس لاون التاسع

« ولكن الانشقاق لم يزل وتنتشر يتزايد ولو انَّ ابرشيَّات عديدة من رعايا الكنيسة اليونانية لبثت حافظةً رباط الوحدة والاشتراك مع الكنيسة الرومانيَّة واستمرَّت الحال على هذا المنوال الى ان استولى الامراء اللاتينيُّون على القسطنطينيَّة سنة ١٢٠٤ وبقيت في حوزتهم نحو ٥٧ سنة فيها خمد الانشقاق جدًّا. الّا انَّهُ رجع متناشاً بعدها حينما الملك ميخائيل الباليولوغس استخلص منهم المدينة المذكورة ولذلك احاقت البلايا العمومية بالمملكة الروميَّة الامر الذي حرَّك الملك ميخائيل المذكور الى الاتحاد مع السدَّة

الرسولية مستخدماً في ذلك وساطة القديس لويس سلطان فرنسة » (ص٢٨—٢٩)

وشفع غبطتهُ هذه النبذة بذكر المجامع التي تمَّ فيها الاتحاد مرارًا وخضوع بطاركة القسطنطينيَّة لرئاسة الاحبار الرومانيين الى زمن المجمع الفلورنتيني العامّ الذي اتَّفقت فيه الكنيستان في جميع عقائد الايمان لاسيّما سلطان الحبر الروماني وانبثاق الروح القدس (١ لم يتازعهم في ذلك غير مرقس الافسي وحدهُ الذي عاقبَهُ الله عقاباً مرهباً على عنادهِ (ص ٣٠ — ٤٥)

اما بعد المجمع الفلورنتيني فان غبطتهُ يثبت انَّ امر انفصال الكنائس ولو كان مستفحلاً متفاقماً في الفترة الكائنة بين السنتين ١٤٥٣ و ١٦٥٣ فانَّهُ لم يكن عموميًّا . . .

« لأنَّهُ نظرًا الى بلاد اوربَّة لَامرٌ ثابت انَّ عددًا وافرًا من ذوي الطقس اليوناني وبالتالي من الطائفة الرومية ابناء الكنيسة الشرقيَّة اليونانيــة استمروا حافظين وحدة المعتقد الكاثوليكي ورباط الشركة والطاعة للاحبار الرومانيين في بلاد واقاليم مختلفة منهم تحت رئاسة اساقفة خصوصيين من طقسهم اليوناني . . . ومنهم بدون اساقفة بل بجوارنة فقط حافظين طقسهم اليوناني وخاضعين للاساقفة المكانيين . . . اكثرهم ضمن سلطنة بولونية وقد وُجد فيهم دائمًا عدد معتبر من الاساقفة الكاثوليكيين . . . وكلّهم حافظون الطقس اليوناني نظيرنا بالتمام . ثمَّ عددٌ وافرٌ ايضاً من ذوي الطقس والطائفة المذكورة وُجد ويوجد متفرّقًا في بلاد ايطاليــة . . . واماَّ نظرًا الى بلاد آسية خاصَّةً سوريَّة الكبرى والصغرى فاي نعم قليلون جدًّا هم الذين في مجر المئتي سنة المذكورة من رؤساء طائفة الروم اظهروا ذواتهم علانيةً متَّحدين مع الكنيسة الرومانية ولكنَّهم مع مرؤوسيهم بوجه العموم كانوا عمليًّا سالكين حسب روح تحديد المجمع الفلورنتيني. . . . » (ص ٤٧—٤٧)

« وهذا العدد من المشتركين مع الكنيسة الرومانية المقدَّسة منذ سنة ١٦٥٣ الى الآن ليس فقط لم ينقص او يضعف بل ايضاً قد ازداد بكثرة وافرة خاصَّــة في بلاد المشرق ... مرتشدين بنوع اخصّ من الرهبان اليسوعيين (٢ بانَّ الخوف من الاضطهادات لا يقدرهم عن اشهار ايمانهم الكاثوليكي المقدَّس فمن ثمَّ شرعوا يتكلَّمون علانيةً بخصوص القضايا الخمس المحدَّدة في المجمع الفلورنتيني ثمَّ في شأن العوائد الأُخر الذمية

١) والروم الارثذكس يقرُّون مثلنا ان الكنيسة في مجامعها العموميَّة معصومة عن الضلال (المشرق)

٢) ومن ثمَّ لم يدسّ اليسوعيُّون الدسائس ولم يخدعوا العقول السُّذَّج كما يزعم الخصوم ولم يدخلوا اعتقادا جديدًا بل اجتهدوا بخلاف ذلك بتعزيز الطقس اليونانيّ القديم والسير بموجب تعاليم الآباء الاقدمين (المشرق)

التي تداخلت فيا بينهم نظير اعتقاد الكثيرين منهم بانَّ طقس النار الجديدة المستعمل يوم السبت العظيم هو نور الهيّ ونظير عدم الجثوّ مطلقًا في الصلوات وامثال ذلك. فمن قبل هذه الاحاديث والمباحث والمجادلات اتّضح من هم الذين كانوا المصرّين على العناد والغلط مشاقّين صوريين فقد تجنَّبهم الكاثوليكيّون اخوتهم تجنُّبًا صريحًا غير مشتركين معهم في الالهيَّات وذلك في مدن وبلاد كثيرة نظير حلب ودمشق وصور وصيداء وغيرها مواضع عديدة » (ص ٤٩—٥٠)

ثمَّ اردف غبطتهُ قولهُ بذكر الاضطهادات التي كابدها الروم الكاثوليكيّون لاجل ايمانهم مستشهدًا باعلام ارسلهُ القاضي واعيان المسلمين في صيداء الى الاستانة العليَّة يرجُون فيهِ سامة الكاثوليكيين من شكايات الروم الارثذكس سنة ١١٣٥ ﻫ (١٧٢٣ م)

« فلمَّا تظاهر الروم النير الكاثوليكيين بروح هذه المداوة والبغضة ضد الروم الكاثوليكيين لم يعد هؤلاء يحتملون ان يلبثوا تحت ولاية رؤساء الكهنة لاسيا بطاركة مزوّرين مضطهدين متّصفين بصفة ذئاب(١) ومن ثمَّ الاساقفة في الشام قد انتخبوا لذواتهم بطريركًا القس سيرافيم طاناس... وارتسم في مدينة دمشق في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ بطريركًا انطاكيًا من ثلثة مطارنة ... وهكذا تواصلت بهِ سلسلة البطاركة الانطاكيين المبتدئة من القديس بطرس هامة الرسل » (ص ٥٢—٥٣)

وهنا سلسلة بطاركة انطاكية من القديس بطرس الصفا الى طاناس ودُعي كيرلّس السادس. واما البطاركة الذين خلفوهُ فندونك جدولهم الى عهد الطيب الذكر الجالس سعيدًا على الكرسي الانطاكيّ غبطة السيد البطريرك بطرس الرابع جريجيري الذي زيَّنَّا مجلّتنا بصورتهِ الكريمة

جدول

بطاركة الروم الملكيين الاجلاَّء منذ عهد كيرلُس طاناس

	اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١	كيرلُس السادس طاناس (٢	٢٠ ايلول ١٧٢٤	١ ك ١ ١٧٦٠
٢	مكسيموس الثالث جوهر	١ آب ١٧٦٠	٢٧ ت ٢ (٣ ١٧٦١
٣	ثاوضوسيوس السادس دهَّان	٢٦ ك ١ ١٧٦١	اواخر اذار ١٧٨٨

١) راجع ما كتبهُ المنار نفسهُ (ص ٣٠٣ و ٣٠٤) في طباع سلبسترس الذميمة
٢) قال السيد الجليل صاحب المقالة (ص ٦١): « وهو اوَّل من طلب من السُّدَّة البطريركية الباليون من البطاركة الانطاكيين » ٣) وفي مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين: «في ٢٨ ت ٢»

٤	اثناسيوس الخامس جوهر	٢٧ نيسان ١٧٨٨	١١ ت ٢ (١ ١٧٩٤
٥	كيرلس السابع سيأج	٣٠ ك ١ ١٧٩٤	٢٥ حزيران ١٧٩٦
٦	اغابيوس الثاني مطر	تموز ١٧٩٦	٢١ ك ٢ ١٨١٢
٧	اغناطيوس الرابع صرّوف	٩ شباط ١٨١٢	٥ ت ٢ (٢ ١٨١٢
٨	اثناسيوس السادس مطر	٣ آب ١٨١٣	٨ ت ٢ (٣ ١٨١٣
٩	مكاريوس الرابع طويل	٢٩ ت ٢ ١٨١٣	٣ ك ١ ١٨١٥
١٠	اغناطيوس الخامس قطّان	١ تموز ١٨١٦	٩ شباط ١٨٣٣
١١	مكسيموس الرابع مظلوم	٢٤ اذار ١٨٣٣	١٠ آب ١٨٥٥
١٢	اكليمنضوس الاول بحُوث	١٩ اذار ١٨٥٦	تنازل ١٨٦٤
١٣	غريغوريوس يوسف الاول	٢٩ ايلول ١٨٦٥	١٣ تموز ١٨٩٧
١٤	بطرس الرابع جريجيري	٢٣ شباط ١٨٩٨	

ثمَّ بيَّن غبطتهُ بعد ذلك ما افرغهُ من كنانة الجهد لنيل لرعيتهِ من قبل الدولة العلية الامتيازات والخطوط الهمايونيَّة الشريفة التي جعلتها طائفةً مستقلَّة

« وهكذا حصلت طائفتنا اليونانية الكاثوليكية على الراحة من الاضطهادات في بحر هذه السنوات الاخيرة » (ص ٦٥)

« واخيرًا فالناتج ممَّا اوردناهُ في هذه النبيقة هو (اوَّلًا) ان كنيستنا اليونانية باسرها رؤساء ومرؤوسين بقديسيها المعظَّمين وبطاركتها المغبوطين وسائر اساقفتها الموقَّرين وآباء مجامعها الافاضل وعلمائها الشهيرين قد استمرَّت مدَّة تسعة اجيالها الاولى متَّحدةً بتمامها اجمالًا وافرادًا مع الكنيسة اللاتينيَّة والرومانيـة المقدَّسة اتحادًا كاملًا بوحدة الايمان والشركة والطاعة للاحبار الرومانيين الاعظمين من دون انثلام. (ثانيًا) ان الانشقاق الذي اتَّخذ بداءتهُ من فوتيوس وامتدادهُ من ميخائيل كارولاريوس ومرقس الأفسسي لم يعمَّ هذه الكنيسة كلّها اجمالًا وافرادًا بل استمرَّ دائمًا عدد وافر جدًّا من ابنائها وطقسها في بلدان كثيرة من العالم حافظين ايمانها الكاثوليكي المقدَّس متَّحدين مع الكنيسة الرومانية ركن الايمان والوحدة الكاثوليكية ... (ثالثًا) انَّ اتصال هذا العدد العظيم من الكاثوليك ... قد اشتهر متزايدًا بعد فترة مائتي سنة في اقاليم المشرق كما كان في اقاليم المغرب ... الى انَّ الله غب امتحانهم كالذهب في الكور قد منَّ عليهم بالنجاة والراحة وحرّية ديانتهم ... (رابعًا) وينتج ايضًا...انَّ الروم الكاثوليكيين

١) كذا في التاريخ المذكور. وفي القائد الامين (ص ٦٣) « انَّهُ تنيَّح في نيسان »
٢) وفي التاريخ المذكور « ٦ ت ٢ » ٣) وفي التاريخ نفسهِ: « ٢٨ ت ١ »

هم الاصل والروم الغير الكاثوليكيين هم الفرع لا بالعكس وهؤلاء هم الخارجون عن اولئك لا بالعكس ... » (ص ٦٩-٧٠)

هذا الى نتائج أخرى لا حاجة الى ذكرها. ثمّ ختم غبطتهُ هذه الكلمات المسجدية بخاطب بها طائفة الروم غير الكاثوليكيين :

« فارجع ارجع اذًا أيها الابن الشارد الى حضن امّك النادبة خروجك عنها والفاتحة لك ذراعيها لتعتنقك بها ويُسَرّ بك قلبها الوالدي... فليستجب الربّ تضرّعات هذه الامّ الحنونة وليعزّ فؤادها المحزون على فقد كثيرين من بنيها وليفرّحها بعودة بنيها لطاعة عريسها المختن السماويّ وطاعتها اذ تشاهدهم جميعًا نظير اغصان الزيتون حول مائدتها وكالخراف الوديعين ضمن حظيرتها يسوسهم راعي الرعاة رأسها المنظور مع شركائه في الخدمة كواحد فقط ليتمّ القول الالهي بان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد» (ص ٧٢)

ونحن نضيف الى ذلك مؤمّنين :

آمين آمين لا نرضى بواحدة حتّى نضيفَ اليها الف آمينا

القوانين الصحيّة

في التدّوات المدرسيّة (لاحق بما سبق)

لجناب الدكتور الفاضل هنري نكّر احد اساتذة مكتبنا الطبيّ

٣ اثاث المنام

بعد بحثنا عن المنام وصورة بنائه وسعته وتهويته يتحتّم علينا ان نذكر شيئًا عن أثاث المنام وقوانين النوم الصحيّة . فان ذلك امرٌ جَلَل لا يمكننا ضرب الصفح عنهُ

اعلم انَّ لجسم الانسان جهازًا دقيقًا تتعاقب عليه نوبات التعب والراحة . وليس في البدن قسمٌ أيًّا كان يمكنهُ ان يداوم الشغل زمنًا طويلًا دون انقطاع ولا ملَل اللهمّ ألّا اجهزة الحياة النامية في الانسان كدوران الدم والتنفّس والهضم فانّ اعمالها تتلاحق بلا اختلاف يُذكَر . امّا قوى الحياة الحيويّة فانّها لا يتجاوز عليها نحو ١٥ ساعة حتى تكلّ وتخور واذا زاد عملُها سقطت وتفانت

هذا وانّ العناية الصمدانيّة لتدارك هذا الخلل وتلافي هذه المضارّ بجسم الانسان قد اتاحت لهُ النوم ليريح اعصابَهُ وعَضَلَاتهِ معًا فانّ العضلات لا تنال راحتها الّا اذا مدَّ المرء جسمَهُ باسطًا لاعضائهِ لتنال بذلك فترةً وسكونًا. امّا الاعصاب فانَّ راحتها بان تُقطع عنها كلُّ مواصلةٍ مع العالم الخارجي وتُغلق ابواب الحواسّ خصوصًا العيون والآذان. ولمّا كان الليل خاليًا من النور وبهِ تسكن الحركات فيتّضح من ثمَّ انَّهُ هو الوقت الانسب للنوم

ولكن تُرى ايُّ فراش اصلح للجسم ليكون ضجيع الدعة وحليف الراحة في النوم. وما لا شُبهة فيهِ انَّ الانسان اذا اتّخذ الحضيض لهُ مِهادًا او اضجع على لوحٍ لا تنال اعضاؤهُ كلها راحتها الخاصّة فان اقسامًا كثيرة من الجسم لا تلصق بهذا المضجع الخشن ويكون ثقل البدن على بعض الاعضاء فقط كالرأس والمناكب والعجز والعقبين فتترضّض من جرّاء ذلك هذه الاطراف امّا بقيّة أشلاء الجسم فلا تتوسّد راحتها

وبخلاف ذلك اذا كان الفراش وثيرًا ناعمًا بحيث يكون الجسم ذا رفاهةٍ بالغة ودَعَةٍ مُفرطة ينجم عنهُ للنائم مضارّ اخرى لانَّ مثل هذه الفُرش المحشوّة بالريش تسخّن البدن وتنديهِ بالعرق فيبقى قلقًا مضطربًا

ومن ثمَّ يقتضي للفراش ان يكون وطيئًا متوسّطًا بين النعومة والخشونة واذا كان لا بدَّ من اختيار احد الفراشين الناعم او الخشن فالخشن افضل للجسم من الناعم. والمرقد الأنسب للنوم هو فراشٌ من الصوف او القطن او الوَبَر سَمكهُ عشرة سنتيمترات يُجعل فوق الواح او مشبَّك من الحديد ذي قوائم تعلو بهِ عن الحضيض. ولا يصلح للمضجع المذكور ان يُفرش على بساط او حصير فوق البلاط بل يوضع فوق مساند كما قلنا لانَّ الحامض الكربونيك السمّ من دأبهِ ان ينحطّ الى اسفل كما سبق فيؤذي النائم. ثمَّ ان النظافة تقتضي اختيار هذه الفُرش المرتفعة بدلًا عن غيرها

ولا بدَّ ان يكون الفراش منبسطًا على سواءٍ ليمتدّ عليهِ الجسم امتدادًا افقيًّا ولا يعلو منهُ غير الرأس فيتوسّد مصدغةً يُسند اليها. ولا داعي لأن يُحنى الفراش كما يظنّ البعض فيُجعل طرف الرجلين ادنى من مسقط الرأس لانَّ ثقل الجسم يجذب بالنائم الى اسفل فيؤذى بذلك

امّا الكِلَل التي تُمدّ فوق الفُرُش صيانةً للاعضاء المكشوفة من اذى البعوض

فانّها لا تخلو من الضرر لأنّها تصدّ مجرى الهواء . فليعتبر اذًا ارباب المدارس ما يرونهُ التي بالمقام واوفق لصحّة الاحداث

وليجعل مستراحٌ قريبًا من المنام كي لا يحتاج التلامذة لقضاء حاجتهم ان يبتعدوا عن رَدهة النوم

وكذلك ليكن في المنام مُغتَسَل ذو حنفيَّات عديدة والاولى ان يكون من الرخام ليسهل تنظيفهُ عند اتّساخهِ . وليُصطنع لكلّ طالب محفظةٌ لوضع ادواتهِ كمشطهِ وفرشتهِ الى غير ذلك من لوازمهِ . ومقعدٌ صغير يجلس عليهِ وينضّد فوقهُ ثيابهُ

وممّا يلحق بمسائل المنام البحثُ عن ساعات النوم اللازمة لطلبة المدارس . ومُجمل قولنا في ذلك انّ طول النوم يختلف مع اطوار العمر فترى الطفل الصغير المولود حديثًا يصرف مُعظم يومهِ نائمًا بخلاف الشيخ الذي لا يحتاج لرقادهِ الى زمن طويل . امّا الكهل الذي بلغ تمام قوّتهِ فان معدَّل نومهِ بين سبع وثماني ساعات . فمن كان عمرهُ متوسّطًا بين الكهولة والطفوليَّة يختلف معدَّل نومهِ حسب سنّهِ . فلا يمكن اذن ان نثبت لاحداث المدارس قاعدةً عموميَّة . بيد انّا نقول بالاجمال انّ التلامذة الذين ادركوا رُشدهم من سنتهم السابعة الى الثانية عشرة يحتاجون الى تسع ساعات من الهجوع . واذا تجاوزوا الثانية عشرة من عمرهم الى السادسة عشرة فمعدَّل نومهم ثماني ساعات ونصف . امّا الذين بلغوا اشدّهم فيكفيهم ثماني ساعات من النوم

هذا وليعلم ارباب المدارس انّهُ يمكن ترويض الجسد بحيث يقتنع بنوم اقصر لاسيا في بعض الاحوال والظروف الخصوصيَّة . وقد عرفنا شبّانًا كثيرين كانوا في زمن الامتحانات السنويَّة يكتفون باربع او خمس ساعات من النوم . لكنَّ الطبيعة بعد ذلك كانت تطلب منهم حقوقها فينامون الى احدى عشرة ساعة . وعلى كلّ حال انّهُ خير للجسد ان لا يُفرط في النوم فان الاقتصاد منهُ ينشّط التلميذ . وخير الامور اوساطها

امّا بداية ساعات النوم فلتكن نحو الساعة الثامنة او الثامنة والنصف . لانّ نوم المساء افضل من سواهُ . ومن الامثال الشائعة بين اهل المانية انّ ساعة نوم قبل نصف الليل تساوي ساعتين بعد منتصفهِ . وعليهِ فان الذين في العيشة العاديَّة لا يُراعون هذه السنَّة المبنيَّة على نواميس الطبيعة يرتكبون شططًا فيُحيون لياليهم بالسَّهرات الطويلة فيجعلون ليلهم نهارًا والنهار ليلًا وبئس ما يفعلون

انّ القوانين الصحيّة في مبيت التلامذة تستدعي بحثاً آخر وهو الكلام عن دثار الاولاد ليلاً وما يلتحفون به

والمبدأ الذي لا بدَّ الاستناد اليه في هذا الامر انّ جلدنا في حاجة الى الهواء النقي لانَّ مسامَّهُ لا تزال تُفرز أبخرةً وفواضل فاسدة تبقى لاصقة بالجسم طالما يكون مرتدياً. وربَّما ترايدت هذه الافرازات الجلديَّة القذرة حتى انَّها تميتهُ في فعلهِ. ولنا في ذلك شاهدٌ صدق في الحُفاة فانَّ ارجلهم لا يشمُّ احدٌ منها رائحةً مستكرهةً كما يغلب على من يُكثرون في الانتعال ويتخفَّفون بالخفاف ويلبسون الجوارب (الكلسات) الصوفيَّة والغزليَّة. فينتج من ثمَّ انَّ الهواء يحيي الجسم ويقوّيه وانَّ افضل الثياب ما تنفذ فيها الهواء بحيث تتلاشى تلك الابخرة الفاسدة دون ان يفقد الجسم الحرارة التي يحتاج اليها في بعض فصول السَّنة. على انَّ اغلب الناس قلَّما يفكّرون في حاجة الجلد التي ذكرناها وهم يقصرون همّتهم في اختيار الملابس الدافئة ليس الّا

ولهذا الامر الخطير في المدارس دواء وهو ان يبدل التلامذة ثياب النهار بشعار الليل. ويعتاضوا عن كل لبسهم المألوف قميصاً طويلاً. فانَّ الجلد على هذه الطريقة يمسُّ هواء جديداً فتزول عنهُ الابخرة الضارَّة. وكذلك اذا قام الولد صباحاً واكتسى بثياب النهار تجدَّد على جلدهِ الهواء. هذا فضلاً عن ان الثياب المتندّية بالنهار تنشف ليلاً وتأخذ من الهواء النظيف نصيباً فتنفع الجسم اكثر بذلك

امَّا الاغطية التي يلتحف بها النائم فانَّنا قد لاحظنا مراراً انَّ اهل هذه البلاد يبالغون في اتخاذ اللُّحُف وتنضيدها فوق اجسامهم فراراً من البرد لكنَّهم يشطُّون في ظنّهم ويَهِمون لانَّ البدن بذلك يزيد تبخُّرهُ في الليل فيضعف من جرَّاء ذلك واذا اصابهُ مجرى هواء صُقِع وابتُلي صاحبهُ بالزكام وغير ذلك من الادواء

وانَّا نودُّ لو اتخذ قرَّاؤنا لهم قاعدة راهنة ما قالهُ بعض نُطس الاطبَّاء. انَّ اتقاء البرد والخوف من مضرَّته يتزايد بزيادة الاكتساء. وذلك لانَّ دوران الدم في الجسم يخفُّ ويبطؤ بكثرة اللبس. وعليه فانَّا نشير على طلبة المدارس ان يقلّلوا اللُّحُف ويكتفوا بما يقيهم سورة البرد ويدفئ جسمهم دفئاً كافياً فقط

وليكن المُفتّل الذي ذكرناه سابقاً عريضاً واسعاً ليتمكَّن التلامذة من الاغتسال المحكم. وليهتم الناظرون بشؤون بعض الاولاد الكسالى الذين يرهبون من الماء البارد

صباحاً فلا يكادون يمسُّون الماء ألّا باطراف الاصابع . وما لا شبهة فيه انَّ الاغتسال بالماء البارد يُدفئ الجسم عوضاً عن ان يبرّده بل ينعش الجسم كلهُ ويحييهِ (ستأتي البقيّة)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

طوافات اليزيديّة

وعند اليزيدية طوافات عديدة وهي بمنزلة الاعياد عند سائر اهـل الاديان . ومن هذه الطوافات طَوافٌ يكون في شهر ايلول وهو اكبر الطوافات عندهم ويُعرف «بطَواف الشيخ عادي بن مُسافر» وهو واجب على جميع اليزيديّة يجرعون الى هذا المشهد الحافل من جميع البـلاد . بل ومن كل صُقع وناد . ومن كل حَزْن وواد . فيهم الشيوخ والكهول والأولاد . والبيات والكواعِك والزُهّاد . والعُجز والنُصُف والأرآد . بل يشهد هذا اليوم من اليزيدية من هم في بلاد الروس من اهل السمة واهل العباد . وربَّما انضمَّ الى هؤلاء العباد . زرافاتٌ من الشَبَك (١ فيشاركونهم بالاحتفالات والاعياد . وجميع هؤلاء الناس يلبسون أفخر ثيابهم . وتتزيّن النساء بافخر حُليهنَّ وبعـد ان يجتمعوا في معهدٍ يُعيّنهُ لهم الشيخ الاعظم . يتوجهون نحو المزار بالطبول والمزامير وهم يموجون كالبحر المتلاطم . وبايديهم الاطعمة والاشربة . من مُسكِرةٍ ومخدّرة ومُرطّبة . وعند ما يبلغون المزار . يأكلون قليلاً ويشربون دون الخمار . ثم يأخذون بالرقص على شكل دائرة او هلال . حول الزمّار والطبّال . وقد مسكت النساء بايادي الرجال . ثم يطوفون حول المعبد مرّاتٍ معدودة . في ساعاتٍ محدودة . ويبقون في القصف واللهو والغناء الى المساء . وعند رجوعهم الى دورهم . يُهدون السَدَنة شيئاً من النقود . وقلوبهم فرحى بما أتوا في هذا اليوم المشهود

امَّا من كان الشيخ عادي المعتبر عندهم كل الاعتبار فقد رأيت في صدر هذه المقالة من هو اي انهُ مُصلح هذه الشيعة . وامَّا كيفيَّة وجوده في هذا المزار المبني بهيئة

١) الشَبَك جيل من الناس لهم ديانة خصوصيَّة غريبة ويوجدون في اطراف الموصل وسنجار

كنيسة في وسط دير كبير. فاليك ما بلغنا من اخباره استناداً على رواية واحد من اهل تلك الديار. وآخر من سكان جبل سنجار. — ولم نقف على اكثر مما اوردناهُ وقد اتّفق هذان اليزيديان على ما سأذكر وان لم يوجدا معاً في اي محل كان. قالا ما نصّهُ بمعناه:

كان المزار المدفون فيهِ اليوم الشيخ عادي ديراً للرهبان النساطرة مشهوراً بقداسة ساكنيهِ فيهِ كنيسة مبنيّة على اسم القديس أدّي او آدي فنفث الطاؤوس الملك (وهو المسمّى بالشيطان عند اهل سائر الاديان) في صدور الرهبان. ان يتركوا الصلوات والاصوام والعيشة القشفة لانّ الله تعالى قد غفر لهم سيّئاتهم كلها واعدّ لهم مقاماً سامياً في جنّة الخلود. فسوّل اليهم في ان يتزوّجوا وان يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم. فبينما كانوا قد خرجوا يوماً من البيعة وفي مقدمهم الصليب ليطوفوا ثلثة ايام حول الكنيسة استدراراً لنعمه تعالى بالشكر وتبرّكاً بعيد عظيم يقع بعد ثلثة ايام رأوا طرساً معلّقاً باعلى الشجرة التي كانت موجودة في فناء الدار. فوقف الطواف عند ذلك وأمر رأس الدير ان تُنزل تلك الصحيفة وتُقرأ. فلمّا أُنزلت رأوا مكتوباً فيها ما يأتي: «أيها الرهبان الأتقياء: انّ الله قد غفر لكم كبائركم وصغائركم فلا تعودوا تقشّفون انفسكم بل اهجروا الدير فتفرّقوا وتأهّلوا وأتوا بولدان نجباء. والسلام.» فلمّا وقف الرهبان على ما انطوت عليهِ هذه الرقعة عجبوا كل العجب. فقالت طائفة منهم: إنّ هذا إلّا من الشيطان الرجيم. وقال آخرون: إنّ هذا إلّا من الرحمن الرحيم. ومن ثمّ ثارت الشحناء بين الفريقين ولمّا كان الغدّ وفعلوا ما فعلوه امس راوا طرساً آخر وفيهِ مكتوب ما قرأوهُ البارحة. ثم رأوا نفس هذه الاشياء في اليوم الثالث فاتّفق جميع الرهبان على ان يهجروا الدير ويعملوا بما قرأوهُ. فتفرّقوا شذر مذر وتزوّجوا ودانوا باليزيدية. وفي مطاوي تلك الحوادث كان الشيخ عادي قد أنبأ يزيدية تلك النواحي ان رهبان الدير المذكور يهجرون صوامعهم ويتمسّكون بالطريقة اليزيدية ويعودون الى الدنيا فيتزوّجون فيها ويُرزَقون وُلداً نُجباء. ثم قال وفي تلك الأثناء اموت فادفنوني في البيعة في محلّ المذبح الاعظم بعد ان تهدموهُ. فلمّا تحقّقت نبوءتهُ عن الرهبان. تُوفّي بعد قليل من الزمان. فأُدرجت جثّتهُ في الاكفان. ودُفنت في ذلك المكان. بأُبّهة لم تسمع بمثلها الآذان. ومنذ ذلك الحين اخذ اليزيدية يتقاطرون الى ضريحهِ في كل سنة من السنين.

وحوّلوا اسم القديس آدي بالشيخ عادي. فتأمل

وقد أكّد لي احد اليزيدية ثقة في هذا الموضوع انهُ كان يوجد في داخل هذا المزار تاريخ يُذكر فيهِ بالكلدانيَّة اسم مؤسس الكنيسة وفي عهد ايّ من البطاركة بُنيت وعلى اسم من شُيّدت ونحو ذلك مما هو معهود في مثل هذا الرقيم. غير ان اليزيدية توعوهُ من محلّهِ خوفاً من ان يزورهُ احدُ أيمّة النساطرة فيدَّعي بُلك الدير والكنيسة وأخفوهُ ودفنوهُ عند مدخل باب المزار في محلّ لا يعرفهُ إلَّا الوَهْفَة. وفي مزار الشيخ عادي ٣٦٠ سراجاً توقد كلُّها كل ليلة وتسع الواحدة منها وقيَّةً من الشيرج. وفي هذا المزار خنابج او أدنان لحفظ الشيرج الذين يؤتى بهِ من جميع قرى تلك الاصقاع. فليُحتفظ بهذه الافادات عند الحاجة

ولهم ما عدا مزار الشيخ عادي مزارات أُخرى عديدة ولكلّ صقع مزار يُزار فيهِ واحدٌ من اوليائهم المصطلح عليهِ عندهم بالشَّخص. ولكل واحد من هؤلاء الاشخاص يوم خصوصي للطواف حول مزارهِ يجتمع اليهِ اهل تلك القرية وربَّما اهل القرى المجاورة لها. ففي قرية بَعشيقا أشخاص منها شخص الشيخ محمد وشخص الشيخ ابي بكر وشخصا مُسَيْعد ومسعود وشخص السيّدة (الست) نفيسة وشخص رأس العيون وشخص الدراويش ولكلّ منهم يوم معلوم في نيسان يكون فيهِ طَوَاف لإكرامهِ. وفي قرية خَتار او خطار شخص ناهش وفي قرية بايبرا شخص باطي وفي قرية كَوْيجِن شخص الشيخ عتروت. والشيخ شمس الدين تَوَرُس في جبل سنجار. والشيخ سَنِيانه في قرب الشَّيخان. وفي محلات اخرى الشيخ سَجادين. والشيخ مَلَكي بيرا. والست خديجة الكبرى. وبير افات والشيخ حسن فَرْدُوش والشيخ خفيرا ريا. والشيخ آمادين والشيخ المَشْلَح وكل من يحلف بهِ بالكذب يُشَلّحهُ اي ينزع منهُ جميع ما عندهُ من الاموال والارزاق ولا يُبقي شيئاً ولا يذر. والشيخ مَتّى والشيخ خضر وغيرهم لانَّهم يُعدّون بالمئات. ولجميعهم معابد خصوصيَّة يعلوها قُبَّة كبيرة او صغيرة بموجب مقام الولي أو الشيخ

سناجق اليزيدية

كان لليزيدية ستَّة سناجق ولم يبقَ منها اليوم الا سنجق واحدٌ وقد أخذ الخمسة الاخرى الفريق عُمر باشا قبل خمس سنين. وفي أعلى هذه السناجق تمثال بهيئة ديك

او طاووس من النحاس او الشبه ولكل سنجق هيئة تختلف عن هيئة السنجق الآخر. وكلها مركّبة ومُوصلة بلوالب شتّى وبصنعة عجيبة في غاية من الظرافة. ولكل سنجق محلّ خاصٌ في قصر الأمير وسرير صغير من النحاس وإناء بهيئة الهاون موضوع امام السنجق والشموع تُوقد امامهُ صباحَ مساء وليلَ نهارَ وتُحرَق لهُ البخور العطرة على الدوام. ولكل سنجق بلادٌ وُضعت في كَنَفهِ. فَفي جناح السنجق الأوَّل موضوعة بلاد الشيخان وهي قُرَى اليزيدية الموجودة في اطراف الموصل ونواحيها. وفي كَنَف السنجق الثاني جبل سنجار. وفي ظلّ السنجق الثالث قُرى الخالتة او الخالطه او الحاليتة وهي قضاء من أقضية ديار بكر. وفي ذَرَا السنجق الرابع الهَوَرِيَّة ويُسمَّونها ايضًا بالكواجر وهم الرُحّل من الاكراد اليزيدية كالبدو عند العرب. وفي سِتر السنجق الخامس المِلّيَّة وهم يزيدية أطراف حلب ونواحيها. وفي دِفء السنجق السادس السَّرْحَدار وهي يزيدية بلاد الرُوس وغيرها من البلاد الخارجة عن أملاك آل عثمان

فاذا جاء الربيع اخرج خدمة الدين سنجق الشيخان وطافوا به بين يزيدية تلك الاصقاع فيجتمع القوّالون الخصوصيُّون بالشيخان ويُراد بالقوّالين عندهم المُنْشون والمُزَمِّرون فينشدون حينئذٍ الأناشيد الخاصَّة بذلك السنجق ثم يأتي البير الاعظم وهو كالنقيب عند المسلمين او كالكاهن عند النصارى (والبير كلمة فارسيَّة تقابل كلمة πρεσβύτερος عند اليونان ومعناها الشيخ او الشائب. وتُطلق لفظة البير ايضًا على رئيس الدراويش فيقابلها حينئذٍ عند النصارى كلمة الأسقُف) وللحال يأمر البير (وهو الامير الاعظم) فيُؤتى بسنجق الشيخان باحترام ووقار ويوضع في هَكْبَة (وهي نوع من الخرج او الجوالق عندهم. والهكبة كلمة تركيَّة) ثم تُحمل على جوادٍ مُطهَّم هو جواد البير الاعظم. وعند ما يقترب الموكب من احدى القُرَى يُرسلون امامهم فارسًا مُنبئًا يبشّرهم بقدوم السنجق وهو ينادي بالكرديَّة: «سَنجق هاتْ» ومعناهُ: «جاء السنجق» فحالًا يقول اهل القرية ويلبسون انظف ثيابهم واحسنها ويخرجون لاستقبال السنجق في ارض البيادر فيصطفُّون صفَّين متقابلين. فيتقدم السنجق والقوّالون في بُهرة الجموع المزدحمة وهم يزمِّرون بالمزامير وينقرون الدفوف و ينشدون الأناشيد والأغاني باللغة الكردية فتجيبهم النساء بالهلاهل حاملاتٍ مجامر موقودة وفيها البخور والعود والندّ ثم يُنادي البير: «سنجق ميڤان كي سَوا» ومعناها بالعربيَّة: «من منكم يضيف

السنجق » ؟ فيقول واحدٌ من الحاضرين « السنجق ضيفي بمائتي غرش » . ويقول الآخر : « السنجق ضيفي بمائتين وخمسين غرشاً صاغاً » والآخر ينادي بثلثمائة وهلمَّ جرًّا الى ان تنقطع رغبة المزايدة فيهِ . فاذا تمَّ ذلك يتقدَّم اليهِ ويأخذ من على ظهر الجواد الهكبة وما فيها و يعلّقها برقبة الذي انتهت اليهِ المزايدة فيهِ . (ستأتي البقيَّة)

قلعة سمعان

للاب بولس جرون اليسوعي

١

اذا ما طويتَ البيد سائرًا من حلب ميمِّماً شمالها الغربي لا يلبث السَّير ان يقف بك بعد ساعاتٍ قليلة امام جبلٍ اصمّ او بالحري بازاء سلسلة من التلال المتواصلة يعرفها اهل تلك الانحاء بجبل سمعان نسبةً الى الناسك الشهير القديس سمعان العمودي الذي احرز لتلك المواطن بمقامهِ فيها سمعةً طيّبة . ولذلك الجبل اسم آخر اختصَّهُ بهِ الاكراد فيدعونهُ جبل لالون . امَّا جغرافيُّو العرب فيسمُّونهُ جبل اللُّكَّام

هذا وانَّ شاعرة الانذهال اوَّل ما تخامر الناظر وتشغل افكاره عند محاذاة تلك الرُّبى التي تعلو جوانبَها صخورٌ غبراء كمدة اللون وهي قفارٌ بلاقع ليس فيها ديَّار ولا نافخ نار

على انَّ العجب أخذ منَّا مأخذهُ اذ ابصرنا في تلك الروابي وفي قعر الوديان اطلالًا ماثلة ورسوماً شاخصةً لم تقوَ الأيَّام على طمس آثارها وهي تدلُّ على مواقع مدنٍ زاهرة وقرًى عامرة ينعب اليوم فوقها الغراب . ولكن تُرى كيف استطاع الناس في سالف الزمان ان يحلُّوا في تلك الديار وهي لا ماء فيها ولا شجر يظلّلها مع ان ارضها حَزْن لا تصلح للفلاحة . فلا مِرْية ان هذه المنازل لم تكُ على حالتها التي نعهدها اليوم فان مياه الامطار كانت تسيل من آكامها في صهاريج متَّسعة لا يزال منها آثار عديدة(١

---

١) وبعض هذه الصهاريج غاية في الحسن والإتقان كصهريج دَانة على طريق القفول من حلب الى الاسكندرونة لها سقف مصفَّح بنحيت الحجارة يسندها نحو ثلثين سندًا مربع الشكل كلّها

امَّا الاشجار فلا نظنُّ انَّ جبل سمعان كان خلوًا منها والبيّنة على ذلك انَّ سقائف الكنائس وبيوت الخاصّة كانت مشيدة بالخشب. ولولا قلّة الاشجار والخشب في تلك الانحاء على عهدنا لما تردّد الأكراد واهل البدو في اصلاح هذه المساكن القديمة والحلول فيها عوضًا عن سكنى خيام الصوف الاسود في ابّان حمارّة القيظ وقُرّ الشتاء. وعلاوة عليه انَّ وجوه اهل انطاكية كانوا في سالف الاوان يقضون فصل الصيف في هذا الجبل ولولا انّهُ كان مظلّلًا بالاشجار لما استخاروهُ لصيفهم

٢

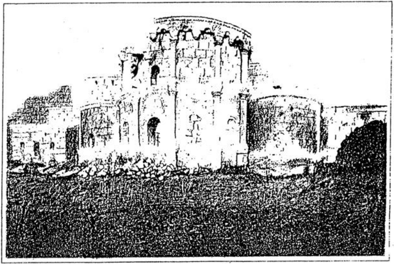
انَّ المآثر الجليلة التي نحاول وصفها من عداد آثار عديدة موقعها بين حلب وانطاكية وحماة وهي ترتقي الى القرون الاولى للنصرانيّة. وكانت هذه العاديّات مجهولة من اكثر السيّاح الى حين احتلّها عالمان افرنسيّان في سنة ١٨٦٧ يدعى الاوّل المركيز دي ڤوڠويه والثاني وَدِنغتون فكلّفا باكتشاف هذه المباني الفاخرة ووصفاها وصفًا مُحكمًا بكتابين واسمين اسم احدهما « الهندسة الدينيَّة والمدنيَّة في سوريَّة الوسطى من القرن الاوّل للمسيح الى القرن السابع » واسم الثاني « الكتابات اليونانيّة واللاتينيّة في سوريّة (١» ومنهما استمدَّ الكَتَبة المحدثون موادَّ تاريخهم واوصافهم. وقد زار الاب ميشال جوليان اليسوعي هذه العاديّات في سنة ١٨٨٨ فوضع في وصفها مقالةً لم يطّلع عليها احدٌ الّا واثنى على سعة علوم كاتبها ودقّة نظرهِ في غوامض الهندسة. وهذه المقالة نُشرت اوّلًا في مجلّة الرسالات الكاثوليكيَّة ثم أُعيد طبعها في كتاب آخر للمؤلّف يدعى « سيناء وسوريّة » (٢. فشاع مذ ذاك الحين ذكر هذه الآثار القديمة في اوربَّة وذلك ما حدانا على مشاهدتها لمَّا سنحت لنا الفرصة في العام الماضي فوجدنا انَّ المؤلّف الذي اتخذناهُ لنا دليلًا كان صادقًا في كلّ ما روى مُحسنًا لاوصاف هذه البنايات العجيبة

وحضرة الاب جوليان يقسم مقالتهُ في آثار سوريّة الشماليّة الى قسمين وصف في

حجر واحد. على انَّك لو قابلت هذه الصهاريج بصهاريج أُخرى قديمة في مدينة الاسكندرية وجدتَها دونها إحكامًا وهندسةً فان الصهاريج المصرية عبارة عن ثلث طبقات من العُمُد بنها قناطر قد احسن رسمها ووصفها اصحاب كتاب وصف مصر

(١ De Vogüé : *Syrie Centrale : Architecture civile et religieuse du Ier au VIIe siècle.* — Waddington : *Inscriptions grecques et latines de Syrie.*

(٢ Sinaï et Syrie, *par le P. M. Jullien*, S. J.



رأس كنيسة مار سمعان الملكيّة وقبّتها

احدها الآثار الشماليَّة الواقعة في غربي حلب وضمَّن الآخر وصف الاطلال الجنوبيَّة في شمالي غربي حماة وتفصل بين هذين القسمين سهولُ إدلب الخصبة. بيد ان زيارة هذه الاماكن الجليلة تستوفي فوق الاسبوعين فقد اقتصرنا في هذه النبذة الموجزة على ذكر ما شاهدناهُ من الآثار المعروفة بقلعة سمعان وما وقع في جوارها فانَّ وصفها يكفي لينال منهُ المطالع بعض الإلمام بتلك الرسوم (١ . ونحن نتمنَّى ان هذه العجالة تنعم قلوب بعض قرَّائنا رغبةً في معاينتها. فانَّهم فضلًا عمَّا يجدونهُ في هذا الجبل من لطف الهواء والبرودة في لفحات القيظ يطَّلعون ايضًا على احوال النصرانيَّة في ايَّام عزّها وشرفها. كيف لا وهذه الآثار تنطق بلسان حالها عن سموّ مدارك اهلها واعتصامهم بحبل الدين المسيحيّ وبذلهم المال عن يد سخيَّة لتشييد المعابد والبيع الرَّحبة الافناء. وما من شأنهِ ان يزيد السائح شوقًا اليها نظرهُ لاماكن قدَّسها احد اولياء الله الجليلين الذي اجتذب الى عمودهِ امم الشرق كلَّها فكانوا يتقاطرون اليها زرافات فيشفي القديسُ عاهاتهم ويرشدهم الى سبل الخلاص

والأولى ان يستحضر السائح معهُ كلَّ ما يحتاج اليهِ في سفرهِ لانَّهُ لا يجد عند اهل تلك الانحاء سوى قليلٍ من الماء والبقول ليس الَّا وان امكن المسافر ان يتَّخذ لمبيتهِ خيمةً يأتي بها معهُ فحسنًا . لانَّ ليالي تلك النواحي باردة ما لم يفضّل ان يحلَّ في وسط الأخربة في جوار عائلتين من المسلمين يأويان في ذلك المكان. ويمكنهُ ايضًا ان ينزل في قرية باصوفان وهي على مسافة ميلٍ من الآثار شرقًا منها نحو خمسة عشر بيتًا واهلها من الأكراد قد احسنوا معنا المعاملة وتلطَّفوا في ضيافتنا

٣

في وصف كنيسة مار سمعان

ليس شيء بين الآثار التي نوَّهنا بذكرها احكم بناءً وابهى منظرًا من كنيسة

---

١) ونشير على من اراد مشاهدة كلّ الآثار الواقعة في تلك الاصقاع ان يتَّخذ تأليف الاب جوليان كدليل لهُ. اما الذي لا يمكنهُ ان يقضي في ذلك اكثر من اربعة ايَّام فعليهِ ان يقسم مراحلهُ كما يأتي: اليوم الاوَّل: حلب. عندان. باشمرا. خراب الشمس. (كالوته) باصوفان. اليوم الثاني: قلعة سمعان. دير سمعان. رفادي. قاتوره – اليوم الثالث: براد. كفرنابو. برج حيدر (كالوته وبرج القس) – اليوم الرابع: الرجوع الى حلب

القديس سمعان . فانّ السائح اذا بلغ به المسير الى الرَّبوة المشرفة على هذا البناء الفاخر يُخلَب حيرةً واندهالاً اذ يقع نظرهُ لأوَّل وهلة على جملة هذه المباني المرتفعة الجدران البديعة النقوش المتقنة الصنعة كأنها احدى تلك الكنائس التي تفتخر بها مُدن فرنسة ممَّا يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر للمسيح والمبنيَّة على الطرز المعروف بالطرز الروماني (style roman) من بناء اهل القرون المتوسطة

وقد اقيم حول هذه الكنيسة حائط يحدق بها ويصونها من غارات الاعداء وهو حديث فجعلوها بذلك كقلعة يأوون اليها ويتحرَّزون بها . وذلك هو السبب في تسمية هذه الآثار بقلعة سمعان

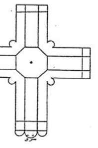
وليس داخل هذا المعبد الجليل اقلّ شأناً من خارجه فهلمَّ بنا نسرّح به الابصار للوقوف على كثرة محاسنه . ولعمري انَّ من يطَّلع على البقايا التي لم تطمسها بعدُ يدُ الاعصار لا يتمالك عن الحيرة والاندهال لضخامة هـذا البناء وحسن هندامه وبراعة عملته مع سعته العجيبة . فكأنَّ الحجارة تنطق بثناء ذلك السائح الذي تمت لربّه فقضى ثلاثين سنة منتصباً فوق عمود وهو بالملاك اشبه منهُ بالانسان

وهذا العمود كان طولهُ يبلغ في اوَّل الامر ثلاثة امتار بناهُ القديس سمعان فوق صخرة صمَّاء . ثم رقي اليه لينجو من زحام الجموع التي كانت تتوارد عليه ساعيًا لتتبرَّك بلثم يديه او مسّ طرف ثيابه . واخبر تلميذهُ انطونيوس والمؤرّخ تادوريتس اسقف قورش الذي عرف القديس وعاين معجزاته وكتب اعمالهُ العجيبة انّ الوفود كانوا يأتونهُ زرافات من كل انحاء المعمور منهم قبائل العرب واهل العجم والمصريُّون والحَبَش بل ذاع صيتهُ الى اقاصي اوربَّة فتواردت عليه امم الفرنج واهل بريطانية فلم يجد وليُّ الله وسيلةً ليتخلَّص من هذا الازدحام سوى ان يبتني لهُ هذا العمود فيتفرَّغ فوقهُ لنسكه وعباداته ولم يزل يزيدهُ علوًّا حتى بلغ طولهُ نحو ثلاثين ذراعًا . وكان ثمَّت يُحيي ليلهُ في الصلاة ويصرف ايَّامهُ في ارشاد المؤمنين وشفاء اسقامهم

فلمَّا مات القديس سمعان سنة ٤٥٩ اضحى عمودهُ كذخيرة ثمينة كانت الزوار تحجُّ اليها فاذا رأوها سبَّحوا الله في قديسه وتصدَّقوا على الرهبان المقيمين على حراستها باموال كثيرة أُنفق معظمها في بناء كنيسة عظيمة تحدق بالعمود فتصير لهُ بمنزلة الخاتم الثمين للدرَّة اليتيمة

فما تمّ بناء هذه الكنيسة حتى عُدَّت من طرائف الدُّنيا وجُلّ اعمال العقل البشري في توالي الأحقاب. وما يختصّ بهذا الهيكل المعظم انهُ لم يك كنيسةً واحدة بل مجموع اربع كنائس كبرى ملكيَّة (basilique) على شكل صليب وهي متَّجهة الى اربع خوافق السماء. الّا ان الكنيسة الشرقيَّة منها مزيَّنة بحنايا كمألوف عادة البُناة في الكنائس القديمة (انظر الشكل)

وهذه الكنائس الاربع متَّصلة بعضها بجمع بينها اربعة معابد صغار كلٌّ منها على شكل مثلَّث كما ترى في الصورة فتُضحي بذلك بنايةً واحدة متَّسعة الفناء يمكن التجوُّل فيها والانتقال من احدى قواعدها الى الأُخرى دون ان يخرج الزائر خارج الكنيسة. امَّا مركز هذه الكنائس العظمى والمعابد الصغرى فانَّهُ كان مختصًّا بقيام عمود القديس سمعان تراهُ ينتصب في الوسط كأنَّهُ المنارة الباسقة تنطح برأسها السحاب وهي مكشوفة للسماء. ولئلا يُحجَب منظر هذا العمود المبارك عن احداق المؤمنين وهم يقيمون فرائض الدين في احدى الكنائس الاربع المذكورة كان مهندس هذا البناء جعل لها أربعة أروقةٍ تسندها عُمُد بلا ابواب. وهذه الاروقة تتَّصل ببعضها وتكتنف بعمود القديس على شكل مثمَّن. وقد سقط اغلب العُمُد والجدران الّا المثمَّن المذكور فانَّ سواريهُ شاخصةٌ وقد بقي من عمود القديس ركنهُ



رسم كنيسة القديس سمعان العمودي

فما شخصت ابصارنا الى هذا الاثر الجليل حتى فكَّرنا في تلك الكنائس العظمى التي اقيمت في عواصم اوربَّة في غضون الاعصار المتوسّطة فتعجَّبنا من حذق بانيه وهو في الحقيقة تحفةٌ لنصارى القرن الخامس في سوريَّة تشهد ببراعتهم في فنّ الهندسة الدينيَّة. وما زادتا اندهالًا انَّ نقوش هذه البناء وأفاريزهُ تجمع بين السذاجة والجمال ليس فيها من بهرجة التصنُّع ما في غيرها من الابنية الشرقيَّة البوزنطيَّة التي تبهر العين دون ان يعمل منظرها في القلب

٣

ولكن هلمَّ بنا نطوف في جوار هذا المعبد ونفحص ما هنالك من الآثار الباقية او الاطلال الخربة وهي عبارة عن بِيَع قديمة وبيوت وفنادق كلها من نحيت الحجارة الكبيرة قد اسندت الى بعضها بدون ملاط يحل بينها ولا أجراز من الحديد تضمّها

والبِيَع المنوَّه بها على ثلاثة أصناف: منها صَنفٌ ذو حنيَّة (nef) واحدة مستطيلة الشكل. وهذا الصَّنف يخلو غالباً من النقوش وهو في غاية البساطة. مثالهُ بيعتان رأيناهما في تلك الانحاء. الواحدة في دير سمعان الذي يبعد نحو ميلٍ عن قلعة سمعان والأُخرى في قرية برج حَيدر. وكلتاهما صبرت على نوائب الزمان

وللصَّنف الثاني من هذه البيع القديمة مزيَّةٌ خُصَّت بها دون غيرها وهي عُمُدها المربَّعة التي تتوسَّطها ومن هذا الصنف كنيسة بَراد وعمدها اربعة غاصت في الاطلال فلا يُرى منها سوى رؤُوسها. ومما يدخل في عداد هذه الكنائس بيعة قَلب لَوزة على مسير ستة اميال من دانة في جنوبها الغربي وهي عجيبة في جنسها لم تشوّه محاسنها الأيَّام ولعلَّها ابهى كنيسة بعد كنيسة قلعة سمعان السابق وصفها

واما بِيَع الصَّنف الثالث فهي البيع ذات الحنايا الثلاث والعُمُد المتوازية وهذا الصنف كثيرٌ في تلك الاصقاع منها كنيسة خراب الشمس وفيها اربعة ازواجٍ من العواميد لها اكاليل حسنة النقش من الطراز الايوني او القورنثي او الشكل المخروط. ومنها كنيسة أُخرى في برج حيدر ألا ان عُمُدها بلا نقش

ومما تمتاز بهِ كلُّ هذه الكنائس إفريزٌ ناتئٌ منقوش في خارجها يُحدق بها في كل جوانبها وهو مستدير فوق نوافذها

ومن خواصها ايضاً حُجرتان مربَّعتان في جانبي الهيكل كان يُصعَد اليهما يميناً وشمالًا وهما متَّصلتان بالهيكل كما ترى في كثيرٍ من كنائس الروم

وكانت احدى هاتين الحجرتين تُدعى مقام الشمامسة (διακονικόν) مختصَّة بالاكليروس يتَّشح فيها بالملابس الطقسيَّة. وكانت الحجرة الثانية المدعوَّة مَرقى (πρόθεσις) او خزانة (γαζοφυλάκιον) يرقى اليها الشعب ليقرّب فيها التقادم قبل الذبيحة. وكان الشمَّاس يكتب اسماء المقرّبين مع بيان تقادمهم لتُذكر اسماؤُهم في صلوات القدَّاس وموقع هذا المقام عادةً في الكنائس المبنيَّة في الجهات الشماليَّة على يمين

الهيكل. امَّا كنائس الجنوب فمكانُ تقادم المؤمنين فيها بعكس ذلك في شمال الهيكل

وليس لهذه الكنائس القديمة ايكونستاس كما ترى الآن في الكنائس اليونانيَّة اي وجهُ هيكل بتصاوير ونقوش مختلفة وانَّما كان لها أستار وسُجف تحجب القدس عن ساحة الكنيسة في بعض اوقات الذبيحة وهذه الأستار لا تزال مألوفةً في كثيرٍ من كنائس الشرق. وقد اورد القديس يوحنّا فم الذهب ذكرها (في ميمره ٣٦ على شرح رسالة بولس الاولى الى اهل قورنثس). امَّا كنائس الغرب فكان لها درابزون عالٍ بديع العمل يفرز القدس عن باحة الكنيسة ولهُ باب يُقفل وكان يُمدّ وراءهُ سترٌ عند الحاجة. وفي بعض كنائس فرنسة بقايا تدلُّ على هذه العادة القديمة

وما يؤيد قولنا في كنائس جبل سمعان أننا رأينا في بعضها حجارتين بارزتين في رأس حنيَّة الهيكل كانت تُعلَّق فيها الاستار. وقد استثنى حضرة الاب جوليان احدى هذه الكنائس التي نحن في صددها وهي كنيسة قلب لوزة فاستنتج من هيئة هيكلها وبعض نقوشهِ أنها كانت ذات ايكونستاس. والله اعلم

٤

امَّا البيوت التي بقي منها آثار عديدة في جبل سمعان فهي قديمة البناء لها هيئات شتَّى. وهي متوسطة الاتساع. ولم يكن لاكثرها غير طابقٍ واحد. وفي ضيعة قاطورة بيتٌ ذو طابقين. ولم يكن لدورهم سوى غرفتين او ثلاث

ومن البيوت التي سكنها اهل الثروة بيتٌ حسن المنظر واسع الفناء وجدناهُ في كفرنابو طولهُ ٤٠ مترًا وعرضهُ ثمانية امتار قد فُتح في جدارهِ الشمالي نوافذ غير متوازية وكان في مقدَّم جهتهِ الجنوبيَّة رواقٌ لهُ ١٧ ساريةً من حجرٍ واحدة يعلوها في الطابق الاعلى ١٧ عمودًا صغيرًا ذا قطعةٍ واحدة. وقد سقطت اكثر هذه السواري والعُمُد. وكان لهذه الدار في جانبيها الشرقي والغربي مخدعان يتصلان بها

وفي دير سمعان بنايتان كُبريان يرجَح انهما كانتا فندقين لأوى الغرباء لها حتى يومنا منظر رائع وكان يحدق بهما من كلّ الجهات رواق يقي المحلّ من اشعَّة الشمس وحرارة القيظ

وفي كلّ هذه الديار لم نجد اثرًا للخشب الَّا في سقوفها. امَّا صحن هذه الدور

وطوابقها فكأنها مفروش بالبلاط . وكانوا يتّخذون الطوابق العليا صفّين من الحجارة الطويلة المنحوتة . يُدخلون احد طرفيها في جدار البيت ويسندون الطرف الثاني الى سوارٍ مشيّدة في وسط البناء على شكل القناطر

ومن فحص هذه الاخربة يتبيّن للباحث كثير من احوال اهلها . منها انّ الديانة الوثنيّة لم تكُ بعدُ قد بطلت كما يؤخذ ذلك من عدّة ادلّة هندسيّة وكتابات نُقشت على الحجارة . الّا انّ النصرانيّة كانت هي الديانة المتغلبة على انحاء تلك البلاد تنبئ بشيوعها شارات النصارى كالصليب واوّل اسم المسيح باليونانيّة الى غير ذلك

امّا حالة السكّان فانّها ولا مرية كانت راضية . فانّ مجرّد النظر الى هذه الآثار الباقية تبيّن انّهم اصابوا كفافاً عيشهم بل تنعّم كثيرون منهم بالرغد والهناء . وممّا يدلّ على حُسن حالهم وغناهم هذه المساكن الرحبة والبيوت المحكمة البنيان والهياكل المسيحيّة التي يُربي عددها على ٣٠٠ كنيسة فانّهم لو لم يصيبوا ثروة واسعة لما قاموا بنفقات هذه الابنية لاسيا انّهم لم يسكنوا هذه الديار الّا في فصلي الربيع والصيف كما قلنا سابقاً . وامّا كانت هذه المشارف مصايف يحتلّها اعيان القوم فراراً من لظى الحرّ كما يفعل في يومنا وجوه بيروت فيتسلّقون على لبنان

ولذلك لا ترى في جبل سمعان مدناً ممدّنة او ابنية عموميّة ممّا اعتاده القدماء كالحمّامات والملاعب والساحات الكبرى ذوات الاروقة المتّسعة بل غاية ما تجده بيوت مؤثّثة مع المزارع اللاحقة بها والكروم والاشجار المثمرة . ويدلّ عدد كنائسها انّ القوم كانوا من اهل الدين يقضون ثمّت أيامهم في السكينة والتقى واعمال البرّ . ولذلك ايضاً لا ترى بين هذه الاطلال كتابات تنبئ بحياة سياسيّة كاوامر الحكومة واسماء الملوك والامراء . فان النقوش الباقية والخطوط المنقورة في الحجارة تتضمّن بعض الحكم والادعية التقويّة وتواريخ كُتبت على المدافن (١ وقد جمع منها قسماً العلّامة ودنتتون وحضرة الاب جوليان . بيد انّهُ لا يزال قسم منها مجهولاً واكثر هذه الكتابات باليونانيّة وهي لغتهم في المواصم التي كانوا يسكنونها فينتقلون منها الى هذا الجبل في اوان الصيف . والمرجّح ان اليونانيّة كانت ايضاً لغة القديس سمعان العمودي لانهُ كان

---

١) راجع كتابات سوريّة الشماليّة لودنتتون

من بلاد قيليقية ويشهد تاودوريطس (١ انهُ تكلَّم بها. اما الكتابات السريانيَّة التي وُجدت في جبل سمعان فقليلة ولعلَّها أحدث عهدًا من اليونانيَّة

لكنَّ اليوم لم يبقَ من كلّ هذه المآثر الَّا ذكرها وقد سدل عليها الدهر اكفانهُ فصارت خرابًا يبابًا. فيا ليت شعري كيف يُحيي الزمان من اهلهِ

فتبًّا لدنيا لا يدومُ نعيمها تقلَّبُ تاراتٍ بنا وتصرَّفُ

ولكن رغمًا عن نوائب الدهر اننا نؤمّل ان هذه الديار ستُضحي يومًا زاهيةً زاهرةً اذا ما احتلَّها قومٌ من اهل الخبرة والعمل لان تربتها حسنةٌ وهي تصلح للاشجار المثمرة وقد اختبر ذلك اهل باصوفان فزرعوا كرومًا وزيتونًا وتينًا فأتت بريعٍ حسنٍ

وعلى كلّ حال اننا نحضُّ السوريين عمومًا واهل حلب خصوصًا على زيارة هذه الدفائن وهي على مقربة منهم فلعلَّهم يستقون من هذا المنهل الصافي حبًّا عظيمًا لوطنهم واعتبارًا كبيرًا لاجدادهم وتحمُّسًا لدينهم. والسلام

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الفصل السادس

في ترتيب آلات الموسيقي المعروف بالدوزان

انهُ بحسب كثرة انواع الآلات المستعملة في فنّ الموسيقي واختلاف اشكالها يعسر ترتيب شرح جميعها ولذلك نقتصر على الكلام في ترتيب بعضها الاكثر شهرةً في هذه الاقاليم فنقول: انَّ هذه الآلات قسمان احدهما يختصّ بفنّ الايقاع اي الاصول كالطبل والدفّ والنقارات والصنوج وما اشبه ذلك. وهذا لا يتعلَّق بمعرفة الالحان بل

---

١) راجع مجموع اعمال آباء اليونان Migne, *PP. GG.* t. 82, c. 148.

هو متعلّق بقياس الزمان (١ . والثاني يختصّ بالالحان وهو المقصود بهذه الرسالة وهو نوعان ذوات اوتار وذوات نفخ . امّا ذوات الاوتار فمنها ما يشدّون عليه وترًا ومنها ما يشدّون عليه سلكًا من حديد او من نحاس ومنها ما يشدّون عليه شيئًا من شعر الخيل ونحوها . ولنذكر شيئًا من هذه الآلات مبتدئين بذوات الاوتار فنقول ان من ذوات الاوتار :

العود

يشدّون عليه سبعة ازواج من الاوتار المختلفة الغلظ والدقّة . والزوج منها مشدود الوترين على نغمة واحدة لاجل ضخامة صوت النقر عليه . واغلب استعمال الموسيقى يكون على اربعة ازواج منها ويندر استعمال الثلاثة الازواج الاخرى (٢ فالزوج الاوّل من شمال (٣ العود يشدّونهُ قليلًا ويجعلونهُ قرار الجهاركاه ثم يشدّون الزوج الثاني للرست والثالث للنوى والرابع للدوكاه والخامس للمشيران والسادس للبوسليك والسابع للنيفت وبهذا الترتيب يكون صوت كلّ زوج منها يعلو عن صوت الزوج الذي عن يمينه او عن قراره عشرة ارباع لان الاوّل يعلو عن قرار الثاني عشرة ارباع والثاني يعلو عن قرار الثالث عشرة ارباع والثالث يعلو عن نفس الرابع عشرة ارباع وهكذا الى آخر الازواج . فهذا البعد الكائن بين الزوجين في بعضها يكون ثلاثة ابراج وفي بعضها لا يكون على حسب وقوع الابراج الكبيرة والصغيرة بين الزوجين (٤

(تنبيه) اعلم ان بعض الموسيقيين يشدّون الزوج الاوّل للبكاه قصدًا لسهولة

١) اجل . الّا ان الايقاع يزيد النغمَ رونقًا وتأثيرًا في مسامع المستمعين فلذا قلّما تحضر نوبةٌ موسيقيّةٌ لا يُستعمَلُ فيها الطبل والصنوج لقياس الزمان . وزد على ذلك انّ اهل الموسيقى من الاوربيين يرتّبون الطبل كسائر الآلات المختصّة بالالحان اعني بهِ انّهم يشدّون او يرخون جلديهِ حتّى يتّفق دويّهُ بعض الاتّفاق مع صوت سائر الآلات

٢) والاقتصار على اربعة اوتار شائع منذ زمن قديم عند اليونان . فاذا اضافوا شيئًا الى تلك الاوتار لم تجاوز الزيادة حدّ الوتر الواحد وهم يسمّونهُ الحادّ . وامّا معاصرونا من اهل الشام ولبنان فهم عادةً على استعمال خمسة اوتار يضيفون اليها وترًا سادسًا عند الحاجة . وسنرجع الى ذلك في الذيل الآتي

٣) ولعلّهُ اراد بشمال العود طرَف الآلة الذي يكون عن شمالك اذا نصبتها امامك وجهًا الى وجهٍ . وليس ذلك راي الخواجا شكري سودا ولهُ اسباب منها مطابقة دوزان الدكتور مشاقة لدوزان معاصرينا والله اعلم

٤) راجع الذيل الاتي

منازلة هذا البرج عند احتياجهِ وكذلك بما أنهُ وقت العمل يكون موضعهُ اسفل الابراج الاربعة التي يشتغلون عليها غالباً فاذا أطلقت عليهِ الريشة التي يُنقَر بها عليها اعني على الاوتار يُسمع لهُ دويّ رخيم ولاسيما حيث اكثر الاعمال تكون امّا من برج الدوكاه وامّا من برج النوى حيث يكون صوتهُ حينئذٍ مركز غمّازٍ للاوّل وقرار للثاني (١ . انتهى)

ثمّ انهم يجعلون علامة على اسفل صدر عنق العود ٢ مستعرضة تحت الاوتار من خشبٍ لونهُ مخالف للون صدر العود يحكمون وضعهُ بمكان ملاقاة الثُلث الاوّل من رأس العود بالثلثين الاسفلَين اي انهم يقسمون المسافة الكائنة بين مطلق الوتر من رأس العود وبين الفرس المستعرضة على صدر اسفلهِ المربوط بها طرف الاوتار الى ثلاثة اقسام متساوية بالبيكار وغيره من الآلات القياسيّة ويجعلون هذه العلامة عند نهاية الثلث الاوّل . وهذه العلامة تفيد امرين مهمَّين : الاوّل اذا جسّ بالسبّابة على زوج من الازواج ونُقِر عليهِ مع بقاء السبّابة جاسية على ذلك الزوج فوق العلامة يكون

١) يريد بذلك انك اذا نلت البكاه وقت عملك على العود يستمرّ صوتهُ في اثناء باقي عملك لاسيما ان ادّى بك تأليف اللحن الى الاكثار من نقر النوى والدوكاه . وهذا امر طبيعي يتحقّق وقوعه ليس فقط فيما بين البكاه والدوكاه والنوى بل ايضاً في سائر الابراج (او الارباع) كلّما وُجد بين ثلاثة منها برجٌ (او ربعٌ) وقرارهُ (او جوابهُ) وغمّازهُ (او جواب جوابهِ او جواب غمّازهُ الى ما لا نهاية لهُ) وهذا امر مبنيّ على مبدأ طبيعي اعلى وهو ان الصوت في الجسم الرنان يسبب تموّجاً وترنين جسمٍ رنانٍ آخر اذا كانت درجتهُ الصوتية نفس درجة الصوت الاول او قراره . وعليهِ فاذا ضربت على البيانو واخرجت صوت «do» تسمع بالسوية صوت جميع الابراج التي اسمها ودرجتها «do» وكذلك تسمع في الوقت نفسهِ جميع الغمّازات . الّا ان تحقيق هذه القضية يقتضي حسّاً جيدًا واختبارًا طويلًا لان هذه الاصوات تكون غالباً دقيقة رقيقة رخيّة فلا تقوى اذنُ كلّ احد على نيلها قاطبةً . ولو شكّ احد قرّائنا في صحّة قولنا هذا عليهِ ان يأخذ عودين يتفقان في الدوزان ادقّ الاتفاق فيدلّي الواحد منهما من رأسهِ بحيث لا يمسّهُ شيء في الهواء ثم ينقر العود الثاني على اي وترٍ احبّ . فاذا دنا احد الحاضرين من العود الاول واعاره سمعاً واعياً سمع تكرار البرج الذي استُخرِج من العود الثاني

٢) عنق العود ما بين جوفهِ ورأسهِ (او انفهِ) . والعنق غير مجوّف وهو محل جس الاصابع على الاوتار . امّا الرأس فهو محل ملاقاة الازواج او الاوتار من فوق العود . والفرس هي في اسفل الآلة او في قاعدتها عليها تمرّ اطراف الاوتار ثابتة الاماكن . واذا كانت الفرس قصيرة لا تكاد ترتفع عن صدر العود فلها اسم آخر وهو المشط . وهو اكثر استعمالًا للعود من الفرس . امّا العلامة في اسفل العنق فتسمّى الدستان (sillet) . والدستان كلمة فارسيّة معرّبة يراد بها كل

صوتهُ مثل مطلق الزوج الذي فوقهُ او مثل جوابهِ فلو انهُ جُسّ على الزوج الاوَّل من محلّ العلامة ونُقر عليهِ لكان صوتهُ مماثلًا للزوج الثاني الذي هو الرست. وهكذا لو جُسّ على النوى (١ لكان صوتهُ جوابًا للدوكاه ثم ان الدوكاه (٢ يصير بهذا العمل جوابًا للعشيران (٣ وبهذا العمل على الازواج المذكورة يحصل امتحان صحّة الدوزان وفسادهِ. الامر الثاني: انهُ اذا اراد الموسيقي ان يصعد بيدهِ الى الجواب لا يشدّ بوضع اصابعهِ على محلّ الجواب لانهُ ينقلها حالًا الى محلّ الجواب الذي لا يرتاب في صحّته. وامّا الازواج الاربعة التي يكون عنها اكثر العمل بالعود فهي الرست والنوى والدوكاه والعشيران. فهذه الاربعة الازواج اذا نُقر على مطلقها يكون عنها الاربعة الابراج المسمّاة باسمائها. وامّا بقيّة الابراج التي تلزم فيتناولها من الازواج انفسها بالجس عليها برؤوس الاصابع من يده اليُسرى

ولاجل زيادة الايضاح فلنُورد طريقة الصعود من القرار الى الجواب والهبوط من الجواب الى القرار برجًا برجًا فنقول: انّ الاوَّل برج اليكاه وهذا يخرج من الزوج الاوَّل امّا بالنقر عليهِ مطلقًا اذا كان مشدودًا يكاه او مجسوسًا عليهِ بالسبّابة اذا كان مشدودًا قرار الجهاركاه. ثم العشيران يؤخذ مطلقًا من الزوج الخامس ومنهُ يؤخذ العراق مزمومًا عليهِ بالسبّابة والرست مزمومًا عليهِ بالبنصر وقد يؤخذ الرست من الزوج الثاني مطلقًا. ثم يؤخذ الدوكاه مطلقًا من الزوج الرابع والسيكاه والجهاركاه يؤخذان منهُ مجسوسًا على اوّلهما بالسبّابة وعن ثانيهما بالبنصر ثم يؤخذ النوى مطلقًا من الزوج الثالث ويؤخذ الحسيني والاوج والماهور منهُ ايضًا بالجسّ عليهِ للاوَّل بالسبّابة وللثاني بالبنصر وللثالث بالخنصر ثم يرفع الموسيقي يدهُ على عنق العود الى مكان العلامة الكائنة في ثلثهِ الاوَّل المتقدّم شرحها وهناك يجسّ على الزوج الثالث بالسبّابة فيكون الحيَز ثم بالوسطى عليهِ ايضًا فيكون البزرك ثم بالبنصر فيكون الماهوران ثم بالخنصر ايضًا فيكون جواب النوى المسمّى دَمَل توتي. وهكذا يرجع برجًا برجًا الى الحيَز ويُبقي يدهُ عند العلامة ويتناول

علامةٍ على عنق آلةٍ من ذوات الاوتار. بها يُشار اشارةً صريحةً الى موضع جسّ الاصابع. والدساتين كثيرة على الطنبور. وهكذا كانت على العود. الّا ان ارباب الموسيقى استغنوا عنها في ممرّ الازمان

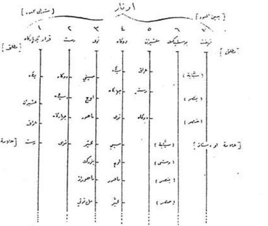
١) يريد بذلك «وتر» النوى او الزوج الثالث

٢) اي الزوج الرابع ٣) يعني الزوج الخامس

الماهور من اجوبة الزوج الرابع بالجسّ عليهِ بالبنصر ثم الاوج عنهُ ايضاً بالجسّ عليهِ بالوسطى وكذلك الحسيني بالجسّ عليهِ بالسبابة . ثمَّ يتناول النوى بالنقر على مطلق الزوج الثالث ويرجع بيده الى مكانها الاوّل وينزل في جَهَّة الابراج برجاً برجاً حسب صعوده ․ واماّ الارباع التي يحتاج اليها في بعض الالحان الكائنة من النوع الثالث فيتناولها بتقديم اصابعهِ او تأخيرها عن الجس على الزوج الذي يراد اخذ ذلك الربع منهُ (ستأتي البقيَّة)

ذيل على الكلام في العود

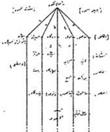
ترتيب العود ودوزنتهُ حسب طريقة المؤلف



فاذا طالعت الجدول الذي وضعناهُ ص ٢٩٧ ترى ان صوت الوتر الاول يعلو عن قرار الثاني الذي عن يمينهِ عشرة ارباع . الخ . . . ومن عجيب الامر في هذا الدوزان ان صوت بعض الاوتار الاكثر استعمالاً اعلى من صوت الوتر الذي عن يمينهِ . وهذا مما لم نعثر على مثيلهِ في كل ما وقع بيدنا من آلات ذوات الاوتار شرقاً وغرباً

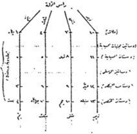
فمنيا الآن ان نوجز الكلام عمَّا اهتدينا اليهِ من ترتيب العود عند المعاصرين والاقدمين من

العرب فنقول اوّلًا انَّ ما رأينا وامتحنّا من طريقة معاصرينا يقضي منّا العجب لسهولة مأخذه وعدم اشتباكه خلافًا لطريقة صاحب الرسالة. فعادتهم ان يشدّوا على اعوادهم خمسة اوتار الاربعة منها مزدوجة وقلّما يزيدون زوجًا سادسًا. وهو قرار الدوكاه. فالوتر الاوّل من شمال العود يشدّونهُ يكاه وعند الحاجة قرار السيكاه او قرار البوسليك. اما الزوج عن يمينه فيملونهُ عشيران والثالث دوكاه والرابع نوى والخامس ماهور حتى يكون البعد بين مطلق ومطلق ما عدا بين الاول والثاني ثلاثة ابراج.



واحسن قاعدة للدوزان هي المصطلح عليها في الوقت الحاضر. وهي ان يُشدّ النوى فيكون جوابًا اليكاه واذا جسّ على النوى بالسبّابة فيخرج منهُ صوت يكون جوابًا للعشيران. ثمَّ يُجس على العشيران بالبنصر فيُسمَع منهُ صوت قرار الماهور ثم يجسّ على الماهور بالسبابة فيُسمع منهُ صوت الحيّر اي جواب الدوكاه فيشد الدوكاه قرارًا للحيّر. هذا ما افادنا ايّاه الخواجا شكري سودا الموسيقي البارع

امّا ترتيب الاقدمين فلا نرى لهُ شرحًا اوضح من ملخص نستلخصهُ من كتاب الموسيقى لابي نصر محمد بن محمد الفارابي (المتوفى سنة ٩٥٠ للمسيح) ولهُ كما تقدم اليد الطولى في الموسيقى العربية واليونانيّة معًا. فدونك وصفهُ العود واعلم انّهم لم يكونوا يشدّون على العود الّا اربعة اوتار اغلظها البَمّ ثم المثلّث ثم المثنى ثم الزير



قال ابو نصر الفارابي: « ودساتينها المشهورة اربعة دساتين مشدودة على الاماكن التي تنالها الاصابع في اسهل موضع يمكن القبض عليها. فاوّل هذه دستان السبّابة وثانيها دستان الوسطى والثالث دستان البنصر والرابع دستان الخنصر فيكون اقسام الاوتار المشهورة على عدد الدساتين. فاوّل نغمة في كل وتر نغمةُ كل الوتر وتلك تسمّى نغمة مطلق الوتر. والثانية تسمى نغمة السبابة والدستان المحدث لها مشدود على تسع ما بين مجتمع الاوتار وبين المشط ثم نغمة الوسطى ولنؤخّر القول في موضع دستانها » (لاختلاف ارباب هذا الفنّ في تقسيم المسافة بين السبابة والبنصر) « ثم نغمة البنصر ودستانها مشدود على تسع ما بين

السبابة الى المشط ثم نغمة الخنصر ودستانها مشدود على ربع ما بين مجتمع الاوتار الى نهايتها في المشط . فاذاً مجموع نغمتي مطلق كلّ وتر وخنصره هو البعد الذي بالاربعة (tétrachorde) ومجموع نغمتي مطلقه وسبابته هو بُعد طنيني (اي برج كبير ton majeur) فيبقى مجموع نغمتي سبابته وبنصره بعد طنيني فيبقى مجموع نغمتي الخنصر والبنصر البعد الذي يسمّى البقيّة والفضلة . .» ($\frac{243}{256}$ Demi-ton pythagorique او Limma) . ولما كانت اوتار العود توضع وضعها المشهور بان يُحزَق المثلثُ حتى يصير نغمة مطلق المثلّث مساويةً لنغمة خنصر البمّ . ويُحزَق المثنّى حتّى يصير نغمة مطلقه مساوية لنغمة خنصر المثلث وكذلك يجعل نغمة مطلق الزير مساوية لنغمة خنصر المثنى ظهر ان نسبة نغمة مطلق كلّ وتر الى نغمة مطلق الوتر الذي تحته نسبة الذي بالاربعة فبيّنٌ انّ الجمع المستعمل في العود هو مثل ضِعف الذي بالاربعة فاذن الجمع المستعمل في العود مُقصر عن الجمع التام ببُعدين طنينيين »

ثم أتى الفارابي بشكل اثبتناه في اسفل الوجه السابق الّا انّنا قلبنا حروف المعجم التي استعملها ارقاماً هندية ابتغاء الوضوح فاضفنا الى بعضٍ منها اسماء ابراجٍ وارباعٍ تساويها وذلك قصد الارشاد . فكلّ رقم يدل على نغمة الّا ان البعد بين نغمةٍ ونغمة يختلف على اختلاف مسافة الخطوط المسترضة فترى من ثمّ ان البعد بين ١ و ٢ مساوٍ للبعد بين ٢ و ٣ وهو بعد طنيني وامّا البعد الذي بين ٣ و ٤ فهو مساوٍ للفضلة اي لاقلّ من نصف الطنيني . ولعلّك تستعلم كيفيّة اتمام الجمع التام اذ كان الترتيب المارّ شرحهُ مقصراً عنهُ ببُعدَين طنينيين فيجيبك الفارابي : « وقد يمكن تمام هذا الجمع في هذه الآلة بوجوهٍ احدها ان يشدّ دستانان اسفل من دستان الخنصر ببعدَين طنينيين ويستعمل نغمتا هذين الدستانين في الزير وحدهُ . . . والثاني ان يُرتَّب اوتارُها غير الترتيب المعتاد وترضّ بهذا الوجه ان ينتقل النَغَم التي كانت تُسمع في الترتيب المشهور من اماكن الى أُخر . وربّما لحق مع ذلك ان يُفقَد كثير من النَغَم التي كانت تسمع من الدساتين فيها قبل ذلك . . . والوجه الثالث ان يُزاد وتر خامس فيُشدّ تحت الزير (يعني عن يمينه) وترٌ والدساتين على حالها ويُجعل نغمةُ مطلقِ الخامس مساويةً لنغمة خنصر الزير ولْنُسَمِّ هذا الوتر الحادّ فيصير نصر الحاد تمام ضعف الذي بالكلّ » (اي ديوانين كاملين) . فهاك الآن بالاختصار ما يقولهُ عن الوسطى :« وامّا دستان الوسطى فان بعض الناس يَرى ان يشده بحيالِ نقطةٍ من الوتر بينها وبين دستان الخنصر ثُمن ما بين الخنصر الى المشط فيصير نسبة الوسطى هذه الى نغمة الخنصر نسبة كلٍّ وثُمن كلٍ – (يعني به انّهم يجعلون صوت الوسطى يسفل صوت الخنصر ببُعدٍ طنيني) . . . . وبعض الناس يشدّ دستان الوسطى على منتصف ما بين السبابة والبنصر ويسمّى ذلك وسطى الفُرسِ وبعضهم يشدهُ على منتصف ما بين وسطى الفرس والبنصر ويسمّى دستان زَلزَل . » (وهو منصور جُعيفر المغني المشهور كانت وفاتهُ نحو ١٥٠ سنة قبل وفاة الفارابي) « وقد يستعملون دساتين أُخر بين السبابة وبين المطلق الى مجمع الاوتار ويسمّونها مُجنّبات السبابة واحدها هو الذي على طرف ضعفِ البعد الطنيني متى رُتّبت من الجانب الاخر » (يعني اذا قسمت البعد الذي بالاربعة تقسيماً

مقلوبًا حتى يكون اوَّلًا الفضلة (limma) وبعدها بعدان طنينيان). ولا يخفى ان محلَّ وضع هذه الجنَّبات متعلّق بمحل الوسطى ولذا يكون عدد مجنبات السبابة موازيًا لعدد دساتين الوسطى. وعليه فيوجد منها مجنّبات منها مجنب السبابة الآنف الذكر ومجنب الفرس ومجنب زلزل الى غير ذلك

نبذة في اهمّيَّة التجارة ومسهِّلاتها

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارٌ احد مأموري معيَّنة ولاية بيروت الجليلة

١ أهميَّة التجارة وتأثيرها في السياسة

لمن المعلوم ان الثروة في كل اين وآن اساسُ السعة الشخصيَّة والعموميَّـــة وقوام الدول ودعامتها. تزداد يومًا فيومًا اهميَّتها بتزايد الاحتياجات البشريَّة مع ترقّي المدنيَّة. بها تمرح الافراد في رياض السعادة ومجاليج الرخاء والرفاهيَّة. وبواسطتها تحسن الحكومات ادارتها الداخليَّة. وتظهر سطوتها الخارجيَّة. وتصلح احوال رعاياها المادّيَّة والادبيَّة. وتدفع عند الحاجة عنها التجاوُزات الاجنبيَّة

نعم انَّ الزراعة والصنائع المختلفة لقاح الثروة المطاوبة وداعيةٌ الى الفلاح والعمران لكنَّ للتجارة ايضًا مقامًا عاليًا فانَّها مجلبة لليسار والغنى تجدي الربح على مزاوليها وتمكّن الدول من النهوض بأعباء مقتضيات الزمان كما يشهد لنا بذلك تاريخًا فينيقية وبريطانية العظمى

فيتَّضح من ثمَّ ان التجارة بمكانٍ عظيم من الخطارة والاهميَّة عند الافراد والدول لا بل انها من اهمّ المسائل الحيويَّة التي اشغلت وتُشغل افكار السياسيين وأُولي الامر. وعليه ترى الدول تبذل الغالي والرخيص لتنشيط التجارة وتشويق الاهالي على مزاولتها فما وجدت بابًا الّا ولجتهُ ولا طريقًا الّا سلكتهُ حتى ازالت العقبات والعراقيل في سبيلها وصرفت الصوارف وعفَّت آثارها. وفي تسابق الحكومات هذا الى اسواق التجـارة الدانية والقاصية ومحارباتها الاقتصـاديَّة (guerre économique, guerre des tarifs) دليل ناطق وشاهد صادق على اهميَّة هذه المهنة وعظم شأنها. اليك منها مثالًا يبدي الرغوة عن الصريح:

كلٌّ يعلم أن ألمانية وسَّعت في هذه السنين الاخيرة نطاق تجارتهـا توسيعًا عظيمًا فزاحمت انكلترة بمصنوعاتها وبضائعها الرخيصة مزاحمة المناكب بالمناكب. فلم تكُ مالكةُ البحار وسيّدة التجارة لترضى بالمانيـة رقيبةً جديدةً مُخيفة. فقامت وقعدت. وارغدت وازبدت. وهدَّد رجالُها الآنَ في المنابر. وانبرت جرائدها تصبُّ على رقيباتها

سواد الحِبر. فأظلم أُفق السياسة مُدَّة من الزمن. حتى خيف من تمزّق غياهب الأحقاد المتلبّدة وهطول امطار المصائب والمحن. ولا تزال هذه المزاحمة بين الأُمتين على قدم وساق. ولا نعلم ما ينجم عن هذه الصادمات من بروق المخاوف ورعود الاخطار

هذا وانَّ للتجارة تأثيرًا في السياسة ولذلك ترى الدول قد خطَّت عليها مؤخّرًا سياستها الاستعماريَّة. فسنَّت لها نظامات خصوصيَّة. وبذلت في سبيلها خزائن المال ومُهَج الرجال. وذلك انَّهُ لما ضاق بها المجال في العالم المتمدن اخذت تتجارى ولا تجاري المُذكيات وراء مخارج جديدة لسلعها في مضمار المسابقة الى الاقطار الشاسعة والمحالّ المهجورة. فأرسلت البعثات المختلفة الى صحاري افريقية وفيافي آسية ومفاوز اوسترالية حيث تراكض رجالها في حلبة هذه المطامع فعقدوا مع رؤساء القبائل القاطنة هنالك معاهدات تقضي لهم بتملُّك تلك الاراضي لقاء بعض السلع الزخرفة. والحقُّ في هذا الاستملاك لمن سبقَ فأخذ امضاء شيخ القبيلة او علامةً منهُ. فترى هؤلاء الرجال مُجِدّين مُسرعين مواصلين السير بالسُرى. لا يحول دون عزمهم الماضي حائل. ولا يَثني همَّتهم القعساء مانع. يخوضون غمرات الموت ومعارك الهلاك بقلب اشدّ من الصخر ويتحمَّلون مشاقّ التعب والجوع والعطش بصبرٍ دونهُ الصبر. وكثيرًا ما التقت بعثةٌ بأخرى فتصادمتا. فأومض من هذا التصادم برقٌ ارتعدت لشرره فرائص العالم. فصدى حادثتَي النيجر وفشودة لم يزل يدوي في آذاننا كالرعد القاصف. على ان خيل رهان مطامع الغرب تتبارى الآن في ميادين افريقية والشرق الاقصى. والليالي حبالى تلد ما لم يدُر في خلَد ولم يجرِ في ظنّ

وكأنّي بالدول بعد احياء الموات من الارض واعمارها تسعى ايضًا وراء مخارج جديدة لتجارتها فتؤمّ القطبين بنانسن واندرهُ. والله اعلم اين تحطّ بها عصا الترحال من بعد. فليس للطمع والاحتياج من حدّ

٢ مسهّلات التجارة

ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ التجارة (المشرق ٢: ١٦١) احوال هذه المهنة وترقيها في الاعصار المتقدمة وخمود حركتها في القرون المتوسطة لتفشّي الحروب واضطراب السياسة في الممالك. لكنَّ الحكومات والحمد لله ما لبثت ان ترعت الا فكار السقيمة من عقول رعاياها وتركت تقاليد سياستها القديمة ووجّهت انظارها الى توفير الوسائط التي من

شأنها ان تسهّل حركة دولاب التجارة الداخليّة والخارجيَّة . فراجت والحقّ يُقال في هذه الازمنة أسواقها ورواجاً لم تَرَهُ الاعصر السالفة بل لم يخطر في بال الاوَّلين وخيال الاقدمين . وهاك غيضاً من فيض هذه المسيّلات

١ً (الطرق البرّيَّة) قلنا ان التجارة عبارةٌ عن نقــل السلع والمحصولات من محلّ الى آخر . وعليه كانت الطرق البرّيَّة في مقتبَــل الامر من اهمّ مسيّلات التجارة واشدّ اركانها . فصرفت الحكومات قاطبةً عنايتها الى تمهيــد وعر المسالك وتأمين سابلتها . فتحت الطرق العديدة في انحاء البلاد وقطعت دابر المتلصّصين واجتُثّت اصل الاشقيا . فأقبل التجار عليها زرافات بعد ان كان الواحد منهم قبل الخروج الى السفر وان دانياً يكتب وصيته ويودّع ولدهُ واهلهُ

وما طرق الآذان صفيرُ القطار وعجيج الدواليب الحــديدية حتى زادت الحركة التجاريّة وتشعّبت عروقُها في جسم الامصار فكانت لها حياة جديدة . والدول جمعــاء تتطاول في انشاء هذه الخطوط ترويجًا لتجارتها ومصالحها الاداريّة والسياسيَّة . بحالما الناظر في اوربَّة والولايات المتّحدة شبكةً شاملةً القاها على وجه الارض صيّادو السلع والمحصولات

٢ً (الطرق البحريَّة) ما وطئ الاسبان البرّ الجديد والبرتغاليّون ارض الهند ألّاوتهافت الغربيّون تهافت الجياع على القصاع الى بلاد الذهب ووطن العاج فتكاثرت السفائن والجواري واشتدّت نهضة التجارة وارتفع شأنها

فلمَّا ذلَّل البخارُ تيَّار البحار انقاد للتجارة حينئذٍ ما تصعَّب وأمكن ما امتنع . فانتعشت وارتاشت وتوسّعت فأحاطت العالَم اجمع . فانشأت الشركاتُ البواخر الجسيمة والحكومات بحريَّتها التجاريّة . وأفرغ الجميع في تحسينهــا وتسريع سيرها كنانة الجهود فجاءت في ترويج التجارة ما يوافق الظنّ والامل . فانقلب الاوقيانوس الاتلنتيكي الى بحيرة تقطعها البواخرُ بسرعة البرق . فكأنَّ السفائن التجاريّة مع السكك الحديدية بوصلها قطعات الارض بعضها وتقريبها البعيد زادت في نفس عمر الانسان فضلًا عمَّا اتتهُ من الفوائد العميمة

٣ً (الجداول والتُّرع) ليست هذه باقلّ اهميَّة ونفعاً للتجــارة من الوسائل السابق ذكرها ولذا انفقت الدول في تعميق مجاري الانهار وحفر الجداول والتُّرع القناطير

القنطرة كما أنبأتنا الجرائد بتصميم الروسيَّة مثلاً على وصل بحر البلطيك بالبحر الاسود. وكفانا دليلاً ما وصلت اليهِ ترعة السويس من الاهميَّة والخطارة وما اجدت التجارة من الخدمات والفوائد العظيمة. فقد مخرتها في السنة الاولى (سنة ١٨٧٠) لافتتاحها ٤٨٦ سفينة وهذا العدد يُربي اليوم على ٣٠٠٠ سفينة محمولها ٨ ملايين طنٍّ فضلاً عن ازدياد عدد السفائن المارَّة بها يوماً فيوماً.

٤ (البريد والبرق) ضاعفت هذه المسهلات الطرق البرّيَّة والبحريَّة نفعاً وفائدةً فتتابع تجّار الخافقين ما يلزمهم في مدَّةٍ وجيزة بل لحظة واحدة. وعليه لا يكاد يمضي يومٌ الّا وتزيد الدول في بلادها عدد الاسلاك البرقيَّة ومراكز البُرُد وتسعى بتخفيف أُجرها وتسهيل معاملاتها. فعقدت في ١ حزيران سنة ١٨٧٨ مؤتمرًا في مدينة باريس اسفر عن اتحاد اكثرها في شأن البُرُد وعن توحيد رسوم هذه المخابرات في ممالكها كأنَّها تجري ضمن حدود دولةٍ واحدة. وكانت في ١٧ ايار سنة ١٨٦٥ عقدت مؤتمرًا في المدينة نفسها تعاهدت فيهِ بعض الحكومات على تخفيف اجرة التلغرافات المارَّة في امصارها. وفي ٨ نيسان سنة ١٨٦٧ و ٢٢ تموز سنة ١٨٧٥ حُوّرت بعض احكام هذه المعهدة المنعقدة بين الحكومات المتَّحدة

٥ (رقباء التجارة والقناصل) لمَّا كانت التجارة من اهمّ المسائل الحيويَّة كما بيَّنَّا سابقاً اعتادت الدول ان تنصب في معيَّة سفرائها مأمورين مخصوصين (attaché commercial) لمراقبة تجارة المملكة التي يُرسلون اليها والتنقيب عن احوالها وتقديركمّيَّة وارداتها وصادراتها وانواع سلعها ومقدارها واستقصاء اسباب ترقّيها وتقهقرها واتخاذ الوسائل اللازمة لترويج مصنوعات مملكتها ومحصولاتها في تلك البلاد. فيتردَّد هؤلاء الى الأندية التجاريَّة والمصانع المختلفة ويسبرون بمقياس البحث وعين الفطنة غور هذه التجارة ويبعثون في هذا الشأن بالتقارير الى حكوماتهم

وللقناصل ايضاً وظيفة مثل هذه ينسجون فيها على منوال اولئك المأمورين في البلاد التي يُنصبون فيها. وعليهِ ليس لهم كما يظنُّ البعض صفة سياسية البتَّة ولا حقَّ لهم ان يستفيدوا من الامتيازات المعطاة للسفراء ولسائر المأمورين السياسيين. غير ان حضرات سلاطين آل عثمان العظام تكرَّموا فنحوا للاجانب بعض امتيازات لهم لم تزل جاريةً حتى يومنا هذا تحت اسم العهود القديمة (Capitulations)

٦ (دواوين التجارة) شكَّلت الدول الدواوين التجاريَّة chambres de commerce) في اكثر بلدانها من تجَّار نفس تلك المدن للبحث في شؤُون التجارة المحليَّة واجراء الوسائط المؤَثرة لترقيها وتوسيعها . فوضعت لها نظامات خصوصيَّة تؤَمن نجاح مصالحها . ولهذه الدواوين جرائد مهيَّة تنشر في اوقات معيَّنة كلَّ ما يحتاج اليه التجَّار من اخبار واعلانات ومعلومات تجاريَّة وصناعيَّة وتبين للاهالي التدابير اللازم اتخاذها ترويجًا لتجارتهم . وكثيرًا ما تُرسل اللجان التجاريَّة الى الاقطار الشاسعة للوقوف على تجارة تلك البلاد والتحرّي على مخارج جديدة لتجارتهم

٧ (محافل التجَّار) قلَّما تخلو مدينة في اوربَّة واميركة من جميعة تجاريَّة وصناعيَّة وزراعيَّة . . الخ تتألَّف من ارباب هذه الحِرَف المختلفة . فيتداول هؤُلاء فيها شؤُون صناعاتهم واسباب ترقّيها . ويحضرها احيانًا بعض رجال السياسة فيبينون لسامعيهم ما يتهدَّد التجارة الوطنيَّة وصنائع البلاد من الاخطار بسبب المزاحمة الاجنبيَّة ويحرّضونهم على الثبات والمقاومة . وخُطب المستر تشامبرلن في محافل تجار انكلترة اشهر من ان تذكر

٨ (مدارس التجارة) كما ان لمعاهد الفنون شأنًا خطيرًا في نشر العلوم والمعارف هكذا لمدارس التجارة يدٌ بيضاء في توسيع دائرة هذه المهنة وتسهيل حركتها . فيرى الطالب فيها دروب التجارة واساليبها ومخارجها ومسبّلاتها . وعليه كثرت هذه المدارس في اوربَّة وتقاطرت اليها الطلاَّب من كلّ جانب . وقد فتحت الحكومة السنيَّة في دار السعادة منذ عهد قريب مكتبًا للتجارة فحبَّذا لو أُتحفت بمثله وطننا العزيز مهدَ هذه الحرفة وسوقها القديم

٩ (المعارض) لا ريب ان انشاء المعارض في العواصم والمدن الكبيرة لمن اقوى الوسائل التي اتخذتها الحكومات لترويج التجارة وتوسيعها . وهي اشبه باسواق العالم القديم . لكنها اوسع ميدانًا وأوفر موردًا واعظم شأنًا من تلك . واخبار معرضي باريس وشيكاغو لم تزل راسخة في الاذهان . والعالم اجمع الآن يرمي بطرْفه الى باريس تلك المدينة العامرة الزاهرة ويطمح ببصره نحو معرض العصر الجديد الذي سيفوق جميع معارض الدنيا بهجةً وعظمةً وفائدةً . ويقال انهُ قد اشترك في هذا المعرض الى الآن ٥٤ دولة وكلّ الممالك تتجارى في إقامة هذه الاسواق المظيمة حيث تجتمع

الملايين من الناس وتُشهر انواع المحصولات والمصنوعات وتتبادل الاموال وتتصادم القرائح والافكار

ومن فوائدها انَّ صنَّاع فرنسة مثلاً يطَّلعون حينئذٍ على بضائعنا وملابسنا فيعرفون مشربنا واحتياجاتنا ويصنعون السلع المألوفة عندنا ويرسلونها لنا لقاء بعض محصولات بلادنا

كفانا دليلاً على اهميَّة المعارض عند الدول ما روتهُ اخيرًا الصحف السيَّارة على اختلاف نزعاتها من الحوادث الخطيرة بشأن السياسة الفرنسويَّة . فقد ذهب فريق من الساسة الى ان الحكومة المشار اليها ضحَّت بعض منافعها الاستعماريَّة على هيكل هذا المعرض رجاء ما سوف يأتيها من الفوائد التجاريَّة والعوائد الماليَّة ومما رُوي ان مدينة باريس ربحت من معرضها الاخير فوق الاربعة ملايين فرنك

وقد احتفل موءَخرًا القطر المصري بافتتاح معرضهِ الزراعي الوطني فالقى هذا الامر في أنفدتنا اطيب الآمال وازهرها فيا حبَّذا لو يتمّ السوريون اثر جيرانهم فينشئون المعارض الوطنيَّة في البلاد الشاميَّة ويحيون بذلك آثار تجارتهم الطامسة ويبعثون رميم مفاخرهم البالية

١٠ (قوانين التجارة ومحاكمها) لمَّا كانت التجارة من المعاملات التي تقتضي الأمنيَّة والاعتبار المالي والسرعة التامَّة في المبادلات وضعت الحكومات لها احكامًا خصوصيَّة حوَّرتها واصلحتها زمنًا بعد زمن وفقًا لترقيات العصر الماديَّة والادبيَّة وقد اودعتها كلَّ ما يعود على التجارة ومزاوليها بالرواج والفائدة وشكَّلت ايضًا محاكم خصوصيَّة لروءية الدعاوي التجاريَّة وتنفيذ احكامها

١١ (الموءتمرات التجاريَّة) يسعى بعض حكماء الغرب في توحيد قوانين الحكومات ونظاماتها ومسكوكاتها وما شاكل ذلك تسهيلًا لمعاملاتهم وتأليفًا لشتات نيَّاتهم فيعقدون الموءتمرات العلميَّة والسياسيَّة في امر خطير يريدون تثقيف اودهِ ولمّ شعثهِ . فها الموءتمرات التجاريَّة تتألَّف من اشهر الاقتصاديين للبحث في شؤون التجارة وتسهيل حركتها وتهوين المعاهدات التجاريَّة المنعقدة بين الدول وتوحيد قوانين التجارة في الممالك المختلفة . وفَّق الله مساعيهم (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ودخل تنكز دمشق ثانياً فيها نهار الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبعمائة (١٣١٢ م) واستمرَّ في نيابة الشام الى ان قُبض عليهِ في نهار الثلثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) بمرسوم السلطان على يد نائب صفد المعروف بجنص اخضر

ثمَّ توفّي بعد تنكز في نيابة الشأم علاء الدين الطنبغا واستمرَّ الى بعد السلطان المذكور. وفي تاسع عشر ذي الحجَّة سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) توفّي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتسلطن ولده سيف الدين ابو بكر بن محمد وتلقَّب بالملك المنصور. وفي العشر الآخر من صفر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) خلعوا ابا بكر وسلطنوا اخاهُ شرف الدين كجك بن محمد وتلقَّب بالملك الاشرف. وفي شهر جمادى الآخرة خلعوا كجك في الممالك المصريَّة والشاميَّة واخذوا البيعة لاخيهِ شهاب الدين احمد بن محمَّد وهو بالكرك وتلقَّب بالملك الناصر. واستناب بمصر آق سنقر السلاري. وحدثت هذه التغيرات وعلاء الدين الطنبغا المذكور مستمرٌ في نيابة الشأم ولم يتغيَّر .

وفي شهر محرَّم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م!) خلعوا بيعة احمد وسلطنوا اخاهُ اسماعيل بن محمَّد وتلقَّب بالملك الصالح (١. وحاصروا احمد بالكرك وقتلوهُ. وذكروا انَّ اسماعيل كان اجود اخوتهِ واستناب بدمشق علاء الدين ايدغمش. ثمَّ توفي واستناب بعدهُ في الشام سيف الدين طقزدمر (70') الحموي(٢. وفي رابع

---

١) حاشية للمؤلِّف: « وفي سلطنة الملك الصالح اسماعيل جرت الواقعة بين البقاعيَّة واهل وادي التيم وذلك في مستهلّ صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وقُتل من الفريقين جماعة كثيرة وأُحرق من وادي التيم ثلاث عشرة قرية وهو جمع المريالى (كذا) من جبل نابلس وسلمت الكُنَيسة وكفرنوق وعيحا (وهذه كلّها في وادي التيم) من النهب والحريق وانقطع الدرب بوادي التيم وكذلك بوادي الزبداني ٢) راجع المشرق ١: ١٠٩٢

ربيع الآخر سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) توفي السلطان اسماعيل وسلطنوا اخاهُ سيف الدين شعبان بن محمد وتلقّب بالملك الكامل. ونائبهُ بالشام سيف الدين يلبغا اليحياوي وهو الذي بنى جامع يلبغا بدمشق. وكان السلطان قد مسك اخاهُ حاجي ويسمّى بامير حاج واودعهُ السجن

وفي شهر جمادى الاولى سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م) خلعوا شعبان واخرجوا اخاهُ امير حاج بن محمد من السجن وسلطنوهُ وتلقّب بالملك المظفَّر. وجلس على الكرسي موضع شعبان وسجنوا شعبان في الموضع الذي كان امير حاج مسجوناً به. فسبحان القادر على كلّ شيء.

وفي سلطنة امير حاج عصى يلبغا اليحياوي نائب الشام ثمَّ هرب فمسكوهُ وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ في نيابة الشام ارغون شاه. وقصد امير حاج قهر الامراء بمصر وصار يتعبَّث بهم فاتَّفقوا عليهِ وفي شهر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعمائة (١٣٤٧ م) حاربوهُ فانتصروا عليهِ وقتلوهُ وسحبوهُ مهتوكاً من الناس ثمَّ قطعوهُ قطعاً. وسلطنوا اخاهُ حسن بن محمد وتلقّب بالملك الناصر وهي سلطنتهُ الاولى. وفي سنة تسع واربعين (١٣٤٨ م) وقع فناء عظيم بالطاعون وكان عاماً ابتداً من مدينة غزَّة

وفي الثالث والعشرين من ربيع الاوَّل سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩ م) ركب الجبغا المظفَّري نائب طرابلس على ارغون شاه نائب الشام فقتلهُ واحاط (٥٦٣) على حواصلهِ. واظهر الجبغا مرسوماً وزوَّرهُ عن السلطان وذلك حيلة ليرفع امر الشام عنهُ. وجرى في الشام خباط افضى الى توسيط الجبغا المذكور وايقاف الحروب

ثم جعلوا في نيابة الشأم ارغون الكاملي فطالت مدَّتهُ واستمرَّ السلطان حسن في الملك الى شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) ثم خُلع وسلطنوا اخاهُ الصالح بن محمد وتلقّب بالملك الصالح. فهذا ما كان من التغيرات واختلاف الدول في ايام ناصر الدين. وسنكمّل ان شاء الله ما بعد هذه الامور عند ذكرنا لولدهِ زين الدين

ذكر اخوة ناصر الدين

ومن الواجب ذكر اخوة ناصر الدين بعد ذكرهِ لتمام الفائدة. قال محمد الغزّي عنهُ في مقامتهِ المذكورة عند وصفهِ لاخوة ناصر الدين: « واماً اخوتهُ الكرام. المعروفون

بالشجاعة والاقدام · وامراء العشيرة المكرَّمة · وفرسان القبيلة المعظَّمة · وضراغم الكفاح والهياج · وغمار المحتاج والمحتاج · بدورٌ تشرق اذا دجت ظلماء المعامع · وسماء نجومها الاسنَّةُ اللوامع · اربعة كالرياح والعناصر(١ تُعقد على محبتهم القلوب قبل الخناصر · فلحسَنهم العزُّ المكين · وليُحمّدهم الفتح المبين · وليُوسِنهم الصلاحُ حليةٌ · وليُسلِّيانهم الشرف امنيَّةٌ وبغيةٌ · (٢١٢) ثم انشد:

اربعةٌ تحكي الربيعَ نضرةً · تنظرُ فيهم كلَّ معنًى رائعِ
مثل نجوم الأفقِ من مُشرقٍ · وزاهرٍ ونيّرٍ ولامعِ
يُهدى بها طورًا ويُستقى بها · نوء المنى لطافحٍ وطامعِ
فالعربُ جسمٌ والحسينُ روحهُ · وهم لذاك الجسم كالطبائعِ

(ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في القاتل

بعد ان اقفل نسيب باب كوخه على فاضل اخذ يتمشّى على مَهَلٍ والسكينة لائحة على وجهه ويداهُ وراء ظهره كرجل فارغ البال راضٍ عمّا صنع · ولكن هل كان في الحقيقة كما تظاهر وهل كان يحقُّ لهُ ان يسكّت فاضلاً على اختلاس بعض شذور من الذهب ؟ وسنرى في ما يلي من تمام القصَّة الجواب على هذين السؤالين

ومن غرائب الوقائع أنَّ رجلاً غريباً كان نزل قبل ذاك بزمان مديد في مدينة نيويرك وكان لابساً برنيطة كبيرة وبنطلونًا قصيرًا ورداءً قصير الكتفين ايضاً وكان الارتباك باديًا في مشيته وسائر حركاته ممّا يدلّ على أنهُ كان حديث عهد بتلك الملابس وأنهُ لم يألفها في وطنه · وما كاد يطأ ارض نيويرك حتى توجه الى سان فرنسيسكو حيث لم يعُد يسمع لهُ ذكر في تلك المدينة الحافلة باصحاب الاشغال

١) جاء في حاشية الكتاب ما لفظهُ: «وربّما كان قول الغزّي هذا بعد وفاة علاء الدين علي ابن سعد الدين لانّ الاخوة المذكورين خمسة»

لكنَّا صدرت في ذات يوم جراند سان فرنسيسكو معلنةً في حوادثها المحلية خبر اقتران ميس جنّي اولري بالمستر جون نسيب شريك السير جون اولري احد اصحاب المناجم الغنيَّة في كاليفورنية وأخبرت ان المستى «واين» احد دعاة البروتستان هو الذي رأس عقد القران والقى خطاباً مناسباً للمقام وان الحضور كانوا من نخبة القوم. الى غير ذلك من الاقوال

ولم يخطر وقتئذٍ على بال أحدٍ ان هـذا الرجل المتطّس في ملابسه المتظاهر بالثروة واليسار هو عين ذلك الغريب المسكين الذي نزل في مدينة نيويورك من نحو خمس عشرة سنة مضت. والحقيقة هي انَّهُ نسيب بنفسه الذي اتى من لبنان يلتمس الرزق فاصاب حظاً في اقلّ من عشر سنوات. امَّا كيف وصل الى ما وصل اليهِ فهو من الاسرار التي لم يتمكّن احد كشف الحجاب عنها. فان عادة الناس انَّهم اذا شاهدوا لمعان الذهب خرُّوا سجوداً لجامعه وقلَّما يسألون عن سبب غناه

وغاية ما كان معروفاً من أمر نسيب هذا انهُ اشترك مع السير جون اولري على اثر توفيقهِ واكتشاف بعض المناجم الجديدة وان السير جون اولري توفي بعد ذلك بمدة وجيزة فورث نسيب غناهُ بما انهُ كان صهرهُ مقترناً بابنته

وبينا كان نسيب في مساء يوم اقترانه يقلب بعض اوراقه ودفاتره اذ امتُقع لونهُ بغتةً وتقطَّب جبينهُ ولكنَّهُ تجلَّد حتى لا يظهر عليهِ شيء من التأثر لان قرينتهُ كانت هناك تحادثهُ. فطوى الورقة التي وقع عليها بصرهُ وحمل الدفتر الذي كانت فيهِ واستأذن من امرأته في الذهاب الى غرفته. وكان يصعد السلم بسرعة غريبة فلمَّا انتهى الى الغرفة أقفل بابها وتنهَّد تنهُّد من زالت عنهُ ضيقة عظيمة وقال «إنّي اتعجب من بقاء هذه الورقة الملعونة هنا وكنت أظن اني قد أتلفتها مع سائر الاوراق التي تشبهها ولو وجدها احد غيري ترى ماذا كان يحلّ بي. كلَّا اني قد اتخذت كل الاحتياطات الممكنة فلم يكن من شاهد غيري». ثم انَّهُ مزَّق الورقة إرباً إرباً واحرقها قطعةً قطعةً على ضوء الشمعة

ثم ولَّما أشعل آخر جزء منها قال: «ها قد قُضي الامر... لا بل انهُ قد طلع نجم سعدي الآن. فيجب على حمي (ابي امرأتي) ان يترك لي المناجم والَّا دبَّرت له طريقة تعود عليهِ بالوبال. امَّا ابنهُ «روبر» فلا أخشى منهُ بأساً فانهُ بهيمة بصورة انسان». ثم انَّهُ

نظر الى وجهه في المرآة ليتأكد زوال كل تاثير بادٍ على محيّاهُ وفرك يديه وترل الى قاعة البيت

ولم يعلم احد على سبيل الاطلاق ماذا كانت تتضمّن تلك الورقة بل كان نسيب وحدهُ يعرف ذلك وبعد ان اتلفها لم تخرج من فيه كلمة او اشارة متعلقة بهذا الامر

ثم ان نسيباً اخذ كعادته يهتمّ باشغاله المألوفة تارة يذهب الى المناجم لاجل حراسة الفعلة وتارة يعود الى سان فرنسيسكو لاقامة مدةً عند امرأته. وكان في بعض الاحيان يذهب الى نيويرك متى اقتضت ذلك الاشغال. وفي احد اسفاره اليها عثر على فاضل ابن وطنه وانتقذهُ على ما سلف الخبر بعد ان كان على شفا الموت. لكن فاضلاً المذكور لم يحفظ لهُ الجميل فخانهُ في ما استخدمهُ به ولم يكتفِ بسرقة شذور الذهب من منجمه بل تجاسر ايضاً على شتمه واهانته. وكان في وسع نسيب ان يشكوهُ فيُنفذ فيه قانون المناجم في الحال ويُشنق بلا رحمة. ولكنهُ لم يفعل لانهُ كان محتاجاً اليه وعامداً على استخدامه كآلة في سبيل مصالحه

ولم يكن فاضل ليقدر على البقاء في مناجم «مكس ويل كريك» بعد الحادثة التي جرت بينهُ وبين نسيب بحضور كل الفعلة الذين يشتغلون في المعادن وكان نسيب قد أسف على هربه ولذلك شدَّ ما كان فرحهُ لمَّا رأى أنَّ الصدفة ساقتهُ الى باب ذلك الذي هرب من وجهه. نعم انهُ كان قد استشاط غيظاً عليه واكثر من تهديده بيد انَّ غضبهُ باخ بعد قليل ولم يعد يشتهي في تلك الساعة المتقدمة من الليل انفاذ حكم في فاضل لأنهُ كان صاحب عواطف انسانية

ولما كانت قد سكنت الزوبعة وقتئذٍ خرج نسيب لزيارة المناجم وكان نهر «مكس ويل» قد تعاظمت مياههُ بما وقع من الامطار الغزيرة وسُمع لجريه صوت عظيم. وكانت اشعَّة القمر البيضاء قد اخذت تخرق الغيوم مفضضةً رؤوس الاشجار وملألئةً نقط المطر التي ما زالت متعلقة على الاغصان السوداء.

امَّا الارض فكانت مترطبة كمرآةٍ صقيلة تعكس نور كوكب الليل. وكان النهر جارياً بسرعة ومياههُ حاملةً لجذوع الاشجار او قطع الالواح وما شاكلها.

فبعد ان استنشق نسيب نسيم الليل اللطيف رجع ساكن الجأش متوجّهاً الى مقرّه وكانت ناصية الليل قد اوشكت ان تشيب واوّل خاطر خطر لهُ ان يُعيد فاضلاً

للاشتغال في المناجم كما كان قبلًا موطنًا نفسه ان سجنهُ تلك المدّة ولو قصيرة كافٍ لكسر حدَّتهِ وحمله على الطاعة. ولكنهُ بينما كان عائدًا في الطريق وحدهُ اذ سمع صوت غراب ينعق على شماله فتقهقر قليلًا متشائمًا بصوتهِ المُنكر فلم يلبث النعيق ان انقطع. فهزَّ حينئذٍ كتفيهِ ومشى في سبيلهِ قائلًا: انهُ لعارٌ على مثلي ان يتطيَّر بصوت غُراب كما تفعل العجائز. الَّا انهُ ما خطا خطوتين حتى سمع النعيق ثانية فوقف منصتًا فلم يسمع غير دويّ مياه النهر وحفيف الريح بالاغصان. ثم انهُ استأنف المسير فسمع الغراب ينعب ثالثًا. وكان نور القمر اذ ذاك مشرقًا على برك المياه وينعكس فيها الوانًا حمراء حتى يظنُّ انها بركٌ من الدم. فعند هذا المشهد علا الاصفرار وجه نسيب وارتعشت يداهُ فاخذ يفرك جبهتهُ كانهُ يريد ان يطرد منظرًا مرعبًا يخيفهُ ثمَّ اسرع الخطى نحو منزلهِ. فما صدق ان وصل الى الباب وفتحهُ واذا بفاضل المسجون في داخلهِ هجم عليهِ كالذئب المفترس وامسكهُ بعنقهِ وصرخ فيهِ قائلًا: «تتهمني اني سارق كلَّا انت السارق لا بل انت قاتل ولقد كنت تريد ان تسلّمني الى الحكومة أما الآن فانا اسلّمك اليها». فامتقع لون نسيب ووقف مبهوتًا حائرًا كأنّهُ رُمي بصاعقةٍ (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ الفيوم وبلادهِ

لابي عثمان النابلسي الصفدي الشافعي

طُبع بالقاهرة في المطبعة الاهلية بسعي الدكتور ب. موريتس سنة ١٨٩٩ وعدد صفحاته ٢١٠

هذا الكتاب شاهد جديد على همّة مناظري الكتبخانة الخديوية عمومًا والدكتور ب. موريتس خصوصًا بتوسيع نطاق العلوم العربية (راجع المشرق ١:١٣٨ و ١٨٩ — ٢:٤٢). عاش مؤلّفهُ في اواسط القرن السابع للهجرة استكتبهُ السلطان صالح نجم الدين أيوب ثم امرهُ بالنظر في بلاد الفيوم واعمالها سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣—١٢٤٤) فصنّف بعد استقراء جهاتها كتابهُ هذا ليُطلع السلطان على احوالها وهو يقسم الى عشرة ابواب استوفى فيها صاحبهُ كلَّ اوصاف بلاد الفيوم من هيئة وصورة ومحلّ واهل وغلات الى غير ذلك من الفوائد العديدة واتّسع في تعريف الامكنة بلدًا بلدًا على ترتيب حروف المعجم. ومن خواصّ هذا الكتاب وصف بلاد وقرى وادية كثيرة عفا اليوم

أتُّوها. ومماً يؤسَف له انَّ جناب ناشر الكتاب لم يطَّلع على غير هذه النسخة لضبط الطبع مع أنهُ تحقّق انَّ في خزانة كتب ايا صوفية في الاستانة العليَّة نسخة اخرى منهُ لكنَّهُ لم يمكنهُ الحصول عليها. وقد الحق الشيخ العلامة السيد محمد البلاوي الشهير هذا التاريخ بست فهارس للاعلام الواردة فيهِ فاكتسب بذلك شكر العلماء الذين يقدّرون مثل هذه الاعمال قدرها لكثرة فوائدها

BULLETIN ANNUEL

DE L'ASSOCIATION DES ANCIENS ÉLÈVES

de la Faculté Catholique et Française de Médecine, 1898.

اهدتنا ادارة المكتب الطبيّ في مدرستنا الكليَّة لائحة اعمالها لغاية سنة ١٨٩٨ واوائل سنة ١٨٩٩ فتلوناها بمزيد المسرَّة. وهي تتضمَّن افادات عمومية عن نظام المكتب وشروط الدخول فيهِ ثمَّ يليهِ تفصيل الفنون الطبيَّة او الصيدليَّة التي يدرّسها اساتذة المكتب مع بيان ترتيبها وساعات درسها واسماء معلّميها. وقد أُلحق ذلك باخبار عديدة في شؤون المكتب كجمعيَّة التلامذة الاقدمين والحفلات التي اقامها المعلمون والطلبة ثمَّ الابحاث التي خاض فيها بعضهم فنالوا عنها الجوائز وشارات التقدُّم. وذُكر عقيب ذلك ما اصابتهُ آخرًا المدرسة من الامتياز في غرَّة السنة الجديدة اذ تشكَّلت لجنة من الفاحصين يمثّل بعضهم دولتنا العلية والبعض الآخرون الدولة الفرنسيَّة الجليلة فنال اربعة عشر من الطلبة المرشَّحين الشهادات المؤذنة لهم بتعاطي مهنتهم في جميع بلاد المملكة الشاهانيَّة. وقد ختمت هذه اللائحة باسماء الدكاترة الذين خرجوا من المكتب الطبيّ منذ افتتاحهِ سنة ١٨٨٧ الى يومنا وعددهم يتجاوز المئة في جميع انحاء الشام ومصر وما بين النهرين والعراق والاناضول واليونان ومنهم من يزاول الطب في فرنسة واميركة. امَّا التلامذة الحاضرون فعددهم يُربي على المئة ايضًا. فنثني على مديري شؤون المكتب الطبيّ اطيب الثناء ونتمنى لهُ مزيد الارتقاء ل. ش

هدايا أرسلت الى إدارة المشرق

١ سياحة حديثة الى شمال ارض الميعاد وهي نبذة كثيرة الفوائد كتبها بالفرنسيَّة حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي ونشرها بالطبع في مجلَّة الأبحاث. صفحاتها ٤٣

Sur la Frontière Nord de la Terre Promise, *par le P. H. Lammens*

(Extrait des Études)

٢ خدمة السبت العظيم وتقاريظ جنّاز ربنا والهنا يسوع المسيح بموجب الطقس اليوناني. عدد صفحاتها ١٣١ سعى بطبعها صاحب المكتبة السوريَّة الفاضل عبدو بني

٣ كتاب النغم الرخيم لماثـلي الشاروبيم في خدمة القداس الالهي وبعض مقتطفات من الكتب الفرضيَّة حسب الطقس اليوناني جمعهُ وعني بطبعهِ حضرة الخوري الفاضل ميخائيل الرف وبياع في مكتبة ميخائيل افندي رحمة في بيروت. عدد صفحاتهِ ٢٤٠ طُبع في مطبعتنا بحرف مشرق وورق نضير وهو يقوم بتمام كتب عديدة من جنسهِ

شذرات

الدُّخان — لمَّا كثرت المعامل في مدن اوربَّة وقراها زاد ايضًا فيها الدخان المتصاعد من فوَّهات مستوقداتها فانتشر في الهواء وافسدهُ. وطالما فكَّر أُولو الامر ان يتداركوا هذه الاضرار فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وفي العام الماضي وعدت الحكومة الفرنسيَّة جائزة لمن يكتشف آلة لتـلافي شرّ الدخان في العواصم الكبرى. فتبارى العلماء وتسابقوا ووضعوا لذلك مئة وعشر آلات مختلفة قدَّموا رسومها للجنة تشكَّلت للبحث في هذا الامر الهامّ فبعد الفحص اختارت منها ثلاثين آلة لتمتحنها بالاختبار. ومرجع هذه الادوات الجديدة الى مبدأين الاوَّل تصفية الدخان بحيث لا يبقى فيهِ شيء من الموادّ الضارَّة قبل انتشارهِ في الجوّ والثاني صدّ الدخان عن ممازجة الهواء بان يُعكس في انابيب خاصَّة ويصفَّى في الاحواض. ومن العلماء من افرغ سعيهُ في اختيار الفحم وطريقة تنضيدهِ في المستوقد بحيث تتَّقد كلُّ اجزائهِ. امَّا الانكليز فانَّهم وجدوا في الغازات المتخلّصة من المواقد وقوتها الدافعة منافع جمَّة وهم اليوم يُكثرون في استخدامهـا لانارة معاملهم بالنور الكهربائي ولاستخلاص كربور الكلسيوم. فاذا نجح مسعاهم اصابوا بذلك غرضـين جليلين تلافي اضرار الدخان والانتفاع من محصولاتهِ

الحيوانات الاهليَّة — ذكرت مجلّة المانيَّة ما يوجد في المعمور من الحيوانات الاهليَّة بالتقريب مستندةً الى برنامج الدول الكبرى في ذلك فقالت: انَّ عدد الخيل يبلغ ٦٧ مليونًا والبغال والحمير ٩ ملايين والغنم ٥١١ مليونًا والمعز ٣٢ والبقر ٣١٢ والخنازير ١٠٤ ملايين فيكون مجموعها ١٠٣٥ مليونًا

ما في الجسم البشري من المواد اجرى بعض علماء المانية عدة اختبارات في الجسم البشري فكانت نتيجة ابحاثهِ انَّ جسم رجل يبلغ معدَّل ثقلهِ ٦٨ كيلوغراماً يحتوي من الحديد ما يكفي لصنع سبعة مسامير كبرى ومن الشحم ما يُصطنع بهِ شمعٌ ثقلهُ ستة كيلوغرامات ونصف ومن الكربون ما يكفي لتجهيز ٦٥ طاقة (دزينة) من اقلام الرصاص ويحتوي من الفسفور ما يكفي لثمانمائة وعشرين الف ثقاب من الكبريت. وفي الجسم عشرون ملعقة من الملح وخمسون قطعة من السكَّر و٤٢ ليترًا من الماء. ولو تحوَّل الجسم الى حالة غازيَّة لوُجد فيهِ ٩٨ مترًا مكعَّبًا من الغاز وما يكفي لنفخ منطاد تبلغ قوَّتهُ في الصعود الجوّي ٧٠ كيلوغراماً. فيا لهُ من حانوت جمع فيهِ الخالق اصناف البضاعة وجعلهُ مسكناً لأفضل ساكن. ألا وهي النفس التي برأها على صورتهِ. ولله درُّ القائل:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسانُ

حلّ المشكل الوارد في العدد السابق تسابق الى حلّ المشكل الوارد في عددنا الاخير كثيرون من القرَّاء نخصُّ منهم بالذكر حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة والادباء الاخ اودوريكس اوهان الحلبي وانطون افندي السابكي وبطرس انطون حلّاق ويعقوب افندي شامي. والجواب على هذا المشكل متعدّد فيصح فيهِ كلّ عدد صحيح يُقسم على ثلاثة فيبقى واحد ثم يُقسم ضعف الصحيح من الخارج على ثلاثة فيبقى ايضًا واحد ويُجرى ذلك على ضعف الصحيح من الخارج الثاني فيبقى واحد وكذلك على ضعف الصحيح من الخارج الثالث فيبقى ايضاً واحد. فيكون الجواب ٧٩ ليمونة او ١٦٠ او ٢٤١ او ٣٢٢ او ٧٢٧ الخ. وسنورد حلَّه على صورة جبريَّة في العدد القادم لحضرة الخوري ج. ر. مرهج

أسئلة واجوبة

س سألنا بعض اهل البقاع هل لستنقعات عيتق ذكر في تواريخ العرب

· مستنقعات عيتق في البقاع

ج نعم وقد دعاها العرب بحيرة البقاع. قال ابو الفداء (١٣٣١ م) في تقويم البلدان (ص ٤٠): « بحيرة البقاع مستنقعات واهياش واقصاب في جهة الغرب عن

بعلبك مسيرة يوم عنها ». ومما جاء في هامش الكتاب المذكور في النسخة المصونة في خزانة مخطوطات باريس ما نصهُ: « بحيرة البقاع كانت غابة اقصاب وقش يعمل منهُ الحُصر في وسط البقاع البعلبكي بين كرك نوح وعين الجر. وفي ايام الامير سيف الدين دُنكز اشتراها لنفسه من بيت المال وحفر بها انهراً كثيرة ترمي على ليطه (الليطاني) حتى تصفى الماء عن اراضيها وعمرت قرايا ما ينيف عن عشرين قرية واقبلت مثلاتها شيء لا يُحدُّ ولا يوصف وفيها بطيخ وقثاء. وحصل للناس نفع عظيم ومعاش. ونصب في اوّلها غياض حور خشب وعمّر طواحين والذي كان دلّهُ على ذلك علاء الدين ابن صبح وكان من اهل تلك الناحية. ولما مسك الملك الناصر دُنكز اخذ منهُ اكثر القرايا واقطعها لامراء الشام وبقي منها شيء يسير لورثته ». ودُنكز المذكور تولّى الشام من سنة ١٣٢٠ م الى ١٣٢٩ (راجع تاريخ سنة ٧٤٠ هـ في تاريخ ابي الفداء). الّا انَّ الخراب استولى على اعمال دُنكز بعد وفاته وعادت المياه فغمرت اراضي البقاع. يُستدلّ على ذلك من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي المتوفى سنة ١٤١٨ م (٢: ١١٣٠) وهو يعدُّها كبحيرة. وقد اخبرنا ثقات القوم انَّ في زمن الامير بشير الشهابي حُفر لتلك المستنقعات بعض القنيّ وجد آثارها الخواجا انطون ابراهيم اده. فيا حبَّذا لو جدَّد اهل البقاع مشروع الامير دُنكز فاجتمعوا على هذا العمل المفيد. ل.

س وسأل حضرة الخوري بولس باسيل: ١ الى اي شهادة يستند المؤرخون بقولهم انَّ هيرودس انتيباس قطع رأس يوحنا المعمدان في مكاور شرقي بحر لوط. ٢ من من المؤرخين يتكلّم باسهاب عن تنصّر عرب البادية في الجيل الاوّل والثاني للمسيح. ٣ من اين اقتبست هذه العادة في توجيه رأس المريض قبل مزايلته الحياة نحو الشرق

مكاور حيث قُتل القديس يوحنا المعمدان

١ ذكر يوسيفوس المؤرخ في العاديات اليهوديَّة (ك ١٨ ف ٥ ع ٢) ان هيرودس تخوَّف يوحنا المعمدان فارسلهُ الى حصن مكاور (Μαχαιρων) ثم امر به فقُتل هناك. ل.

تنصُّر عرب البادية في القرن الاوَّل والثاني للمسيح

٢ لم يتكلَّم احد من المؤرخين باسهاب عن تنصُّر العرب في الجيل الاوَّل والثاني. وانما الامر لا شكَّ فيه يُستدلّ عليه من عدَّة شهادات قديمة متفرّقة اذا عُرضت على بعضها تزيل الشبهة عن هذه القضيَّة. وسنبيّن ذلك ان شاء الله في مقالة نوردها في المشرق

توجيه المريض نحو الشرق قبل موته

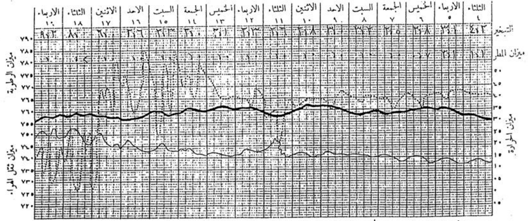
٣ هذه عادة قديمة جرى عليها النصارى في بلاد كثيرة منذ القرون الاولى. وذلك ان المشرق كناية عن المسيح في الكتب الالهيَّة (راجع نبوَّة زكريا ٣:٨ و ١٣:٦ ولوقا ١:٧٨) فكانوا يوجّهون المريض الى ناحية الشرق دلالةً على انهُ يموت في ايمان المسيح ويرجو منهُ الخلاص

س كتب لنا حضرة الخوري جبرائيل زين من ابل السقي: انَّ اهل تلك القرية اضطربوا اذ سمعوا في قراءة سَحَر أحد حاملات الطيب (ص: ٥٧): « انَّ صالومي كانت ابنة ليوسف الخطيب وانَّ يوسف ولد اربعة اولاد ذكور يعقوب الصغير ويوسي وسمعان ويهوذا وثلاث بنات اشير وتامار وصالومي ». فاستنتج الشعب انَّ يوسف لم يكن بتولًا وانَّ مريم العذراء لم تبقَ عذراء بعد الولادة. فما قولكم عن هذا المشكل

بتوليَّة العذراء مريم والقديس يوسف خطيبها

ج اعلم اولًا ان كتاب البنديكستاريون لم يأتِ بادنى اشارة الى انَّ العذراء مريم ولدت هولاء الاربعة وانَّما يقول « انَّ والدة الاله حُسبت كامّ لاولاد يوسف » فبقولهِ « حُسبت » اراد انَّها كانت أُمّهم بالذخيرة والعناية فقط والكنيستان الشرقيَّة والغربيَّة تعتقدان معًا بدوام بتوليَّة العذراء. والشهادات في ذلك لا تُحصى. ثانيًا امَّا قول البنديكستاريون انَّ يوسف خطيب مريم ولد بنين وبنات فليس هو من صلوات البنديكستاريون بل أُلحق بهِ كشرح لبعض المفسّرين فليست اذن شهادتهُ كافية وانَّما اخذ الشارح قولهُ هذا من بعض الكَتَبة الذين لم يُحسنوا فهم آية انجيل مرقس (٣:٦): « اليس هذا هو النجَّار ابن مريم واخا يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان او ليس اخواتهُ ههنا عندنا ». فظنُّوا ان القديس يوسف قبل اقترانهِ بالعذراء الطاهرة كان متزوّجًا فولد هؤلاء الاربعة وبنات أُخرى الَّا ان هذا الرأي ليس براجح. والقول الصحيح انَّ القديس يوسف كان بتولًا كما روى ذلك الملافنة القديسون ايرونيموس واوغسطينوس وتاودوريطس وانسلموس وتوما اللاهوتي. امَّا الاربعة المذكورون في آية مرقس فهم ابناء كلاوفاس اخي القديس يوسف البتول. وفي السنكسار اليوناني المستعمل في كنائس الروم في ايطالية ورد ذكر عيد القديس يوسف بهذه الصورة: « عيد الجليل والدائم البتوليَّة يوسف خطيب مريم العذراء » ل. ش

قائمة للآثار الجوية   من ٤ الى ١٩ نيسان   ١٨٩٩



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطُّ المنقَّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات